"رسالة إلى الشباب في كيفية الاستفادة من الأدب الكلاسي"
للقديس باسيليوس الكبير

د. سامح فاروق حنين
مدرس الأدب البيزنطي
بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية
كلية الآداب – جامعة القاهرة

مقدمة

شهد الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي نوعًا من الاختلاف في وجهات النظر بين مسيحيي الغرب المتكلمين باللغة اللاتينية ومسيحيي الشرق المتكلمين باللغة اليونانية فيما يخص الفائدة الْمَرْجُوَّة من دراسة المسيحيين للأدب الكلاسي. ففي الغرب اللاتيني كان القادة الدينيون يميلون إلى صف القديس چيروم (هيرونيموس) (٣٤٧-٤٢٠ م.) الذي وبَّخَ في إحدى رسائله كهنته على صرفهم بعضًا من الوقت في قراءة الكُتَّاب الوثنيين في حين أنهم كان يجب أن يستثمروا هذا الوقت في مطالعة الكتب المقدسة[١]. ويتلخص رأي القديس چيروم الرافض لفكرة مزج الثقافة الهيلّينية بالديانة المسيحية في أنه ليس ثمة شيئ قط مشترك بين ما هو مسيحي وما هو هيلّيني ولا يمكن أن يكون:

«*Qui consensus Christo cum Belial. Quid facit cum Psalterio Horatius? cum Evangeliis Maro? cum Apostolo Cicero?*»[2].

"أيُ اتفاقٍ بين المسيح وبليعال[٣]؟ وماذا تعمل أشعار هوراتيوس بجانب سفر المزامير؟ وأشعار فرجيليوس بجانب البشائرالأربعة؟ وفصاحة شيشيرون بجانب (فصاحة) الرسول (بولس)؟":

أما في الشرق المسيحي فكان الوضع مختلفًا إلى حد ما نظرًا لشيوع الرأي المتفتح الذي يعود بجذوره إلى القديس كليمينس السَّكندري (توفى عام ٢١١ م.)، الذي كان من أَشَدِّ المعجبين بالفلسفة الإغريقية، وكان من آراءه أن:

«*Τ≤χα δὲ*
καὶ προηγουμένωφ τοῦφ Ἕλλησιν ἐδ®θη τ®τε πρὸν Ν τ∏ν κυριον καλέσαι καὶ τοῖ∏φ Ἕλληναφ. παιδαγωγεῖ γὰρ καὶ αὐτ— τ∏ Ἑλλη νικ∏ν ⁄φ ∠ ν®μοφ τοῖ∏φ Ἑβραίουφ ε‹φ Χριστ®ν.
Προπαρασκευ≤ζει τοίνυν ≠ φιλοσοφία προοδοποιοῦσα τ∏ν ¬π∏ Χρ ιστοῦ τελειουμενον»[4].

"لقد أعطى الرب الفلسفةَ للإغريق مسبقًا حتى قبل أن يدعوهم إلى الإيمان (في العهد الجديد). وهذه الفلسفة كانت تقود (العالمَ) الإغريقي تمامًا كما قاد الناموسُ العبرانيين إلى المسيح. فالفلسفة هى التي أَعَدَّت ومهدت الطريق الذي اكتمل بعد ذلك بالسيد المسيح".

في هذا السياق، سياق تأييد أو رفض دراسة الأدب الكلاسي، تُعَدُّ "رسالة القديس باسيليوس الكبير إلى الشباب في كيفية الاستفادة من الأدب الكلاسي" أحد أهم نصوص الأدب الآبائي[٥] وأكثر النصوص شهرةً على الإطلاق. لأن هذه "الرسالة" وإن كانت تُظْهِرُ الصلة الوطيدة بين أحد آباء الكنيسة الأوائل وبين الأدب الكلاسي، إلاَّ أنها تؤكد في الوقت ذاته على الفائدة الكبيرة التي يمكن للإنسان أن يحصل عليها من دراسة نصوص آباء الكنيسة الأوائل وخصوصًا المثقفين منهم ثقافةً كلاسية عالية المستوى.

ومن الجدير بالذكر أن هذه "الرسالة" ليست تحذيرًا مشوبًا بالحذر والقلق لكونها صادرةً عن شخصية قيادية دينية، بقدر ما تقدم نظرية تعليمية (تربوية) صادرة عن رجل مثقف، وذلك لأن حسن اطلاعه على الأدب الكلاسي وغيرته على هذا الأدب يأتيان في الدرجة الثانية بعد معرفته بالكتب المقدسة؛ فهذه "الرسالة" تقدم مجموعةً من التوجيهات التي على أساسها يجب دراسة الأدب الكلاسي حتى يتسنى للقارئ استخراج العناصر النافعة من هذا الأدب[٦].

ولكي ندرك مميزات هذه "الرسالة" علينا أن نتعرف على القديس باسيليوس أولاً، وذلك من خلال الآتي:

أولاً: حياته وكتاباته،

ثانيًا: موقف القديس باسيليوس الكبير من الأدب الكلاسي،

ثالثًا: دراسة "رسالة القديس باسيليوس الكبير إلى الشباب في كيفية الاستفادة من الأدب الكلاسي" ومصادرها.

أولاً: القديس باسيليوس الكبير

(أ) حياته

يُعَدُّ القديس باسيليوس، أسقف قيصرية كبادوكيا في آسيا الصغرى (الآن قايسيري في تركيا)، مثالاً جيدًا لآباء الكنيسة، إذ تُذكرنا دراسة نصوصه بأحد المنادين بضرورة دراسة الثقافة الهيلّينية وآدابها. والقديس باسيليوس هو واحد من أعظم آباء الكنيسة الذين عاشوا في القرن الرابع الميلادي (٣٢٩–٣٧٩) وهو الوحيد الذي يُلقب بلقب "الكبير أو العظيم" أو "ὁ Μέγας Βασίλειος"[٧] بين الآباء المعروفين بالكبادوكيين[٨] وهم غريغوريوس اللاهوتي المعروف بالنزينزي، صديق القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النيسي أخي القديس باسيليوس الأصغر[٩].

وُلد القديس باسيليوس عام ٣٣٠ م. في أسرة مسيحية تقية[١٠] ثرية بقيصرية كبادوكيا، ربما تنتمي إلى طبقة السيناتو الرومانية أو إلى الطبقة الأرستوقراطية [١١]. كان الأب، باسيليوس أيضًا، يعمل خطيبًا ومحاميًا في قيصرية الجديدة Νεοκαισάρεια في ولاية بونطوس Πόντος في الشمال الغربي من شبه جزيرة آسيا الصغرى، على ساحل البحر الأسود. درس القديس باسيليوس على يدي والده اللغةَ اليونانية والخطابة ثم بعد أن أَتَمَّ تعليمه الأساسي في قيصرية كبادوكيا رحل إلى القسطنطينية ثم بعد ذلك حوالي عام ٣٥١ م. سافر إلى أثينا لاستكمال دراسته العليا، حيث قضى بها أربعة أعوامٍ. هناك تتلمذ على أيدي

معلمين أَكْفَاءَ دارسًا للفلسفة والأدب والخطابة والنحو والفلك والجغرافيا وكذلك الطب، الأمر الذي يبدو واضحًا من خلال كتاباته العديدة. ومن بين المعلمين الذين تتلمذ عليهم القديس باسيليوس كان ليبانيوس الفيلسوف والخطيب الأنطاكي، الذي يصف في إحدى رسائله دهشته العارمة عندما تسلم خطابًا من صديقه وتلميذه القديس باسيليوس وهو جالسٌ وسط أصدقائه يقرأ خطاب القديس باسيليوس فيقول مبتسمًا: "لقد هُزمتُ"!، "لقد هُزمتُ"! وعندما سأله أصدقاؤه عن سر ذلك قال: "إن باسيليوس قد بَزَّنِي في الفصاحة وجمال الأسلوب"[١٢].

هناك في أثينا توثقت أواصر الصداقة بينه وبين صديقه القديس غريغوريوس اللاهوتي المعروف بالنزينزي والإمبراطور يوليانوس المرتد. وفي عام ٣٥٦ م. عاد القديس باسيليوس إلى مدينته حيث بدأ عمله فيها كمعلم للخطابة، تلك المهنة التي سرعان ما هجرها لِيُكَرِّسَ حياته كلها لله. وفي عام ٣٥٨ م. هجر القديس باسيليوس العالم وكل أمجاده وطاف في براري مصر وفلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين ليلتقي بالنُّسَاك والمنقطعين في الصحاري للعبادة وتأثر بهم أَيَّمَا تأثير، حتى أنه عندما عاد إلى مدينته أعطى كل ماله للفقراء وآثر العُزلة في إحدى البراري القريبة من مدينة قيصرية الجديدة. ثم استجابةً لحث أخته ماكرينا جمع القديس باسيليوس حوله طائفة من رجال الأديرة في منطقة بونطوس وأسس هناك ديرًا، ولما شاع خبرُ قداسته التَفّ حوله كثيرون فاتخذوه مرشدًا لهم يقودهم في طريق الفضيلة.

رُقِّيَ القديس باسيليوس في عام ٣٦٤ م. إلى الدرجة الكهنوتية فصار الساعد الأيمن ليوسيبيوس مطران قيصرية كبادوكيا، وأصبح القديس باسيليوس هو ناصح المطران الأمين وكاتم سره ومساعده الماهر ومفسر الكتب المقدسة الحصيف، فاستمر يعلم المؤمنين ويدافع عن الإيمان القويم ويرد الضالين. ومن محبته للجميع سواء مسيحيين أو يهودًا أو أمميين أَسّس القديس باسيليوس عام ٣٦٧ م. دارًا للأيتام والفقراء المتضررين من الطاعون الذي تَفَشَّى في ذلك العام[13]، وذلك ليجد فيه الملاذ والمأوى كلُ محتاج من كل عمر وجنس وعقيدة. ولما كانت سنة ٣٧٠ م. توفى يوسيبيوس ورُسِمَ القديسُ أسقفًا لقيصرية كبادوكيا فَكَرَّسَ حياته للكنيسة وللدفاع عن عقيدتها القويمة، وذلك حسب ما اتفق عليه مجمع نيقيا الذي انعقد عام ٣٢٥ م. في مواجهة التأثير المتزايد للهرطقة الأريوسية التي أنكرها هذا المجمع ونَدَّدَ بها[١٤].

وفي ربيع عام ٣٧٢ م. بنى القديس باسيليوس [١٥]"καινὴ πόλις" "مدينة جديدة" أو "هيئة خيرية" سُميت باسمه[16] *Βασιλειάδα* من أجل الفقراء واليتامى والمنبوذين الضعفاء، وكانت تضم كنيسة كبيرة ومدارس لتعليم المهن وملاجئ ومستشفي وعيادات وفنادق[١٧]، عدا بيوت الأطباء والعاملين في هذه المدينة. وقد ترك القديس باسيليوس هذه المدينة في رعاية رهبان منطقته[١٨]ولما تثقل القديس من وطأة المرض والنسك الشديد توفي في سن الخمسين وذلك عام ٣٧٨ م.

عاش القديس باسيليوس في عصر بدأت فيه العبادة الوثنية تشهد تراجعًا مستمرًا وتلاشيًا تدريجيًا؛ فبعد أن كانت المسيحية هى الديانة التي تجاهد من أجل البقاء، رافضةً أي مظهرٍ من مظاهر الثقافة الهيلّينية (الوثنية)، أصبحت الآن، بعد الشعور النسبي بالأمان بسبب اعتراف قسطنطين بها كإحدى الديانات الرسمية في الدولة الرومانية، أصبحت تأخذ بمجامع

الحضارة القديمة. وقد انعكس هذا الفعل في أدب تلك الفترة (أواخر القرن الرابع الميلادي). ومن سخرية القدر أن تحولت المسيحية من ديانة مُضَّطهَدَة إلى ديانة رسمية للدولة الرومانية في الوقت الذي بدأت فيه العبادة الوثنية تجاهد من أجل البقاء، ليس فقط في الأدب بل وأيضًا في عادات وتقاليد وأفكار وحياة الناس.

أما بالنسبة للآداب والعلوم فكانت لا تزال تُدَرَّسُ في أثينا وفي غيرها من المدن اليونانية محاوراتُ أفلاطون وفلسفة أرسطو ونصوص الفلاسفة الرواقيين والكلبيين والفيثاغوريين المحدثين وغيرها من الأفكار الفلسفية التي كانت توافق الاهتمامات النفسية والمتطلبات الفكرية لرعايا الدولة البيزنطية التي كانت لا تزال في بداية عهدها. وبدلاً من الأفكار السياسية الخاصة بالمدن – الدويلات التي كان يشارك فيها المواطن مشاركةً فعالةً حَلَّتْ محلها أفكار فلسفية إبيقورية غريبة مثل λάθε βιώσας[19] "الحياة في الظل" والتي كانت تهدف أساسًا إلى تركيز اهتمام الإنسان في خلاص نفسه وتحريرها من سجن الجسد، وكانت تلك الأفكار لا تزال منتشرةً في الأوساط المسيحية في الدولة الرومانية والدولة البيزنطية خلال العصور المسيحية الأولى. كانت هذه الأفكار الإبيقورية ترمي إلى تحقيق الإنسان للمثالية من خلال العيش بعيدًا عن الاضطرابات الاجتماعية حتى يصل إلى تحقيق التوازن الوجودي والخلو من الهموم ἀταραξία. وبدلاً من عبودية القياصرة وأباطرة روما القديمة أصبح المواطن البيزنطي يقدس الإمبراطور قسطنطين وأمه الملكة هيلانا اللذان أَسَّسَا عام ٣٣٠ م.، نفس العام الذي وُلد فيه القديس باسيليوس، مدينة القسطنطينية. وقد ورثت الكنيسة المسيحية فكر الفلاسفة الرواقيين فيما يخص "مسكونية الدولة" فقامت هى باحتضان جميع رعايا الإمبراطورية البيزنطية من أجل خلاص النفس وخلاص نظام الحكم[٢٠].

في هذا العصر عاش القديس باسيليوس.

(ب) كتاباته

ترك القديس باسيليوس مؤلفات عديدة ذات تأثير كبير في تقدم الحياة الديرية تُعرف اليوم باسم "قوانين القديس باسيليوس" لتنظيم الحياة الديرية[٢١]. وقد وضع هذا الأب غير هذه ميامر[٢٢]عديدة و٢٤ مقالاً في موضوعات عقائدية وأدبية ومدائح لفضائل الآخرين ومواعظ ومقالات نسكية (ذات طابع تصوفي) وحوالي ٤٠٠ رسالة في موضوعات عقائدية وتعليمية، كما وضع القداس المشهور المنسوب إليه والذي تصلي به الكنيسة القبطية الأرثوذكسية على مدار العام، وفَسَّرَ بعض الأسفار من العهدين القديم والجديد من أشهرها "أيام الخليقة الستة" "Ἑξαήμερον" (الهيكساميرون)، ووضع قوانين مازالت موجودة حتى الآن[٢٣].

والمجموعة الوحيدة التي تحوي كل كتابات القديس باسيليوس كاملةً تضم النصوص الأصلية باليونانية مع ترجمة لها باللاتينية وقد أعدها كل من Julien Garnier وMaran Prudentius في ثلاثة أجزاء ونُشرت في باريس ما بين عامي ١٧٢١ و١٧٣٠ م. وقد أعاد J. P. Migne طباعة هذه النصوص مرة أخرى في "الباترولوجيا جرايكا" *J. P. Migne's Patrologia Graeca*[٢٤]، المجلدات من ٢٩–٣٢، في باريس بين عامي ١٨٥٧ و١٨٨٦. وصدرت مرة أخرى في ثلاثة أجزاء أيضًا في Turnhout بين عامي

١٩٥٩ و١٩٦١. هذه الطبعة الأخيرة تحتوي على مقدمة جيدة أعدها Jean Gribomont، وقَدّم فيها تغطية لكل طبعات وترجمات نصوص القديس باسيليوس، وبعض المعلومات القيمة عن صحة كتابات القديس وتاريخ كتابة كل عمل. أما القائمة الكاملة لكل كتابات القديس باسيليوس فنجدها في "*Clavis Patrum Graecorum*"، أي "مفتاح (كَشَّاف كتابات) الآباء اليونانيين"، الذي أعده الأستاذ Geerard Maurice في Turnhout عام ١٩٧٤، المجلد الثاني الصفحات من ١٤٠–١٧٨. ويستطيع الدارس أن يجد كتابات القديس باسيليوس مترجمةً إلى اللغة الإنجليزية في المجموعة التي قام بها الأستاذ Blomfield Jackson في مجموعة "آباء نيقيا وما بعد نيقيا"، السلسلة الثانية، المجلد الثامن، عام ١٨٨٦.[٢٥]

ثانيا: موقف القديس باسيليوس الكبير من الأدب الكلاسي

بنوع من الغلو الذي لا يخلو من المبالغة البعيدة عن الحقيقة التاريخية اعتبر بعضُ الدارسين هذه "الرسالة" بمثابة *Magna Charta*[٢٦] أي " العهد الأعظم للفلسفة المسيحية" أو *τὸ ἀρχαιότερο μανιφέστο τοῦ ἀνθρωπισμοῦ*[٢٧] أي "أقدم بيان بالأهداف والدوافع ووجهات النظر المسيحية في العلوم الإنسانية أو الدراسات الثقافية"، التي ينتمي إليها الأدب الكلاسي. ولكن بعيدًا عن هذا التطرف الأدبي نقول إن "الرسالة" تُعد بحق أفضل أعمال القديس باسيليوس الكبير قاطبةً، إذ أنه يتعامل بموضوعية شديدة مع مشكلة من أعوص مشاكل التعليم في ذلك الوقت، ألاَ وهى موقف المسيحية من التراث الأدبي اليوناني القديم (الكلاسي). فرغم أن "الرسالة" تُعد شكلاً بسيطًا من أشكال النصح والإرشاد موجهةً إلى أقاربه من الشباب، إلاّ أن أهميتها كبيرة لأنها تكشف عن موقف القديس باسيليوس من قيمة التراث الأدبي اليوناني القديم.

يوجه القديس باسيليوس الكبير هذه "الرسالة" ربما إلى بنات أحد إخوته أو إحدى أخواته[٢٨] اللواتي كن قد انتهين من الحلقة الثانية من التعليم الأساسي، وكن على وشك الانضمام إلى إحدى المدارس الفلسفية العليا، حيث كانت قراءةُ نصوص الأدب الوثني والتعليق عليها شيئًا إجباريًا. أو ربما كانت موجهة إلى الشباب الذين كانوا يحضرون معه منتديات الحلقات الدراسية[٢٩]، حيث كان يشرح لهن/لهم القديس باسيليوس كيف يمكن للدارس أن يدرس الأدب الإغريقي دون أن يضر نفسه أو يخسر وقته، بل بالحري أن يستفيد من هذه الفلسفة الوثنية ويُرَقِّقَهَا ويربطها بالأخلاق المسيحية. والمرجح من خلال قراءة النَّص هو أن هؤلاء الشباب (سواء كانوا فتيانًا أو فتيات) كانوا جميعًا في سِنٍ واحدة تقريبًا، لأن القديس باسيليوس لم يفرق بينهم عندما أشار إلى مقدرتهم على فهم بعض الأمور واستيعابها، وكان حديثه لهم في نفس المستوى. ونستنتج من خلال النص أن أعمارهم كانت تتراوح ما بين الخامسة عشرة أوالسادسة عشرة[٣٠].

وتنقسم "الرسالة" إلى عشرة أجزاء: الأجزاء الأربعة الأولى تشرح المنهج أو الطريقة الْمُثْلى لدراسة الأدب الكلاسي، والأجزاء الخمسة الأخرى تُعتبر جوهر "الرسالة"،

أما الجزء الأخير فهو يمثل الخاتمة.

١. في الفصل الأول (المقدمة) يشير القديس باسيليوس إلى أن الأسباب التي دفعته لكتابة هذه "الرسالة" هى من ناحيةٍ صلةُ القرابة التي تجمع بينهم ومن ناحية أخرى الخبرةُ الطويلة التي نالها القديس باسيليوس من طول العمر. كل هذا يجعله جديرًا بنصح هؤلاء الشباب عن الأدب الكلاسي موضحًا لهم ما يجب أن يقبلوه وما يجب أن يرفضوه.

٢. يناقش القديس باسيليوس في الفصل الثاني مشكلة "التعليم الدنيوي" θύραθεν παιδεία[31]، من حيث مدى فائدته وضرره. ويخلص من ذلك إلى أن دراسة الأدب الكلاسي نافعةٌ لأنه هذا النوع من الأدب يُعِدُّ الإنسان لفهم الكتب المقدسة، لأن الحياة الأبدية بالنسبة للإنسان المسيحي أسمى هدف، ونبراس هذه الحياة هى الكتب المقدسة. وبما أنه عسير على الشباب أن يسبروا غَوْرَ الأعماق الموجودة فيها فعليهم بدراسة الكتابات الوثنية التي تبدو الحقيقة فيها كما لو كانت معروضة أمام مرآة.

٣. يقارن القديس باسيليوس في الفصل الثالث بين التعليمَيْن المسيحي والدنيوي، ويُشَبِّهُ التعليم الأول بثمار الشجرة والتعليم الآخر بالأوراق التي تضفي عليها نوعًا من الجمال، ويُطَبِّق القديس باسيليوس هذه المقارنة على النفس البشرية.

٤. في الفصل الرابع يعرض القديس باسيليوس أنواع الكتابات الإغريقية من شعرٍ ونثرٍ وغيرها من الأنماط الأدبية التي قد يدرسها هؤلاء الشباب، ويبين أن الطريقة المُثْلَى للاستفادة من هذه الكتابات هو "الانتقاء"، أي أن يقرأ الدارس ما هو مفيد ونافع وأن يرفض ما هو ضار ومبتذل.

٥. يؤكد القديس باسيليوس في الفصل الخامس على أن الشباب يجب أن يولوا اهتمامًا أكثر بالكتابات الشعرية والفلسفية التي تمتدح الفضيلة، لأن هذه الفضيلة وسيلة للوصول إلى الحياة الأبدية ولأنها الشيئ الوحيد الذي لا يضيع.

٦. يعرض القديس باسيليوس في هذا الفصل السادس لكُتَّابٍ آخرين مدحوا في كتاباتهم الفضيلة، ولذا يجب على دارس الأدب الكلاسي أن يطبق كلامهم في حياته حتى يمكنه أن يستفيد منهم لأن الحكيم حقًا هو الذي يحول النظرية إلى عمل.

٧. في الفصل السابع يعرض القديس باسيليوس، من خلال الكتابات الإغريقية، نماذج لرجال صالحين كانوا متحلين بفضائل جَمّة، مثل التسامح وعدم مجازاة الشر بالشر ومحبة الأعداء والتعفف وما إلى ذلك، ليدلل بهذا على أن الأدب الإغريقي لا يضم بين جنباته أقوالاً حكيمة فقط بل وأعمالاً فاضلة أيضًا.

٨. يعدد القديس باسيليوس في الفصل الثامن الصلاح الناتج عن الدراسة والتدريب، ويدلل على ذلك بأمثلة من الحياة العامة لأناس عاديين حرفيين، مثل الحدادين والموسيقيين والرياضيين ولكنهم بالممارسة والتدريب يصلون إلى الإتقان.

٩. يؤكد القديس باسيليوس في الفصل التاسع على أن الاهتمام بالنفس يجب أن يكون أكثر من الاهتمام باحتياجات الجسد، لأن هذا ليس أمرًا غير مفيد فحسب بل إنه يعوق نمو النفس وتقدمها الروحي أيضًا.

١٠. ويختتم القديس باسيليوس "رسالته" بأنه من الخير للإنسان أن يجعل الفضيلة

عونًا له في هذه الحياة، ولكن الأفضلَ هو أن يدخر هذا العون للحياة الأخرى أيضًا.

ورغم أن القديس باسيليوس كان راهبًا ومتصوفًا مسيحيًا وقام بتأسيس مجتمعات رهبانية كثيرة ووضع لها قوانين صارمة تلائم طبيعة الحياة الرهبانية، إلاّ أنه اهتم اهتمامًا خاصًا بطرق تربية الأولاد تربية أخلاقية سليمة. فهو في هذه "الرسالة" يساعد القديس باسيليوس الشباب على كيفية التفريق بين الغَثّ والثمين في الكتابات الوثنية[٣٢] مؤيدًا فكرة أن قراءة الكُتَّاب غير المسيحيين نافعةٌ ولو بقدر يسير، إذ أنها تعمل كمُمَهِّد لفهم الكتب المقدسة. فالحياة الحاضرة، عند القديس باسيليوس، لها قيمتها ليس في ذاتها بل تكمن قيمتُها في أنها استعدادٌ لحياة الآخرة التي تفوق الحياة الحاضرة كتفوق الحقيقة على الحُلْم والنفس على الجسد. ولذا فيجب أن يحتقرَ الإنسانُ كلَ ما يمكن أن يعوقَه عن هذه الحياة الأخرى، وأن يسعى في الوقت نفسه وراء كل ما يقربه منها. ذلك أن الكتب المقدسة تحيطنا علمًا بالحياة الأخرى، ولكن طالما أنه لا يستطيع أحد أن يَسْبِرَ غَوْرَ هذه الكتب وعلى الأخص في سن الشباب، فمن الأفضل أن يتدربَ على فهمها وذلك من خلال قراءة كتب الأقدمين من الشعراء والفلاسفة وغيرهم. ويُلاحظ في "الرسالة" أن القديس باسيليوس يقصد ولو تلميحًا أن النصوص الكتابية المسيحية ليست مناسبةً لإعمال العقل وأن أعمق العقائد المسيحية صعبة الفهم وذلك على الشباب[٣٣]. والفائدة لا تُستمد فقط من النماذج الصالحة بل ينضوي عليها الأدب الكلاسي بل أن الإنسان قد يستفيد أيضًا من النماذج السيئة الموجودة فيه، لأن مقارنة نهاية كل واحد تقنع الإنسان بحياة الاستقامة والفضيلة. فبينما تهتم الحكمة اليونانية بتأملات في الأمور غير المنظورة بطريقة غامضة ونظرية، إذا بالحكمة المذكورة في الكتب المقدسة تشير إلى الخبرة العملية الخاصة بسلوك المؤمن أو الشرير في حياته[٣٤].

وينتهج القديس باسيليوس في تعليمه ونصحه لأقاربه الشباب المنهج "الانتقائي"، حيث يشرح لهم أنه يجب أن ينتقي الدارسُ لهذه الآداب ما يمكنه من المضي قُدُمًا في طريق الفضيلة، وأن يرفضَ النماذجَ السيئة وخصوصًا قصص عشق الآلهة الإغريقية المتعددة وخصوماتهم. ولذا فهو يقدم أمثلةً من حياة موسى النبي الذي تأدب بكل حكمة المصريين، ودانيال النبي الذي استفاد من حكمة الكلدانيين[٣٥] رغم أنهما شعبان وثنيان. فالمسيحيون كذلك يمكن أن يستفيدوا من تعاليم ليست غريبة تمامًا عن تعاليمهم المسيحية إذا هم تعلموا كيف ينتقون ما يفيد ويعرضون عَمَّا يضر.

وفي هذه "الرسالة" يقدم القديسُ باسيليوس درسًا عمليًا في كيفية الاستفادة من الكُتَّاب غير المسيحيين وفي كيفية الانتقاء، وذلك عندما استفاد من محاورة "الجمهورية" لأفلاطون في أفكار كثيرة ولكنه لم يتبع أفلاطون اتباعًا أعمى؛ فآراء القديس باسيليوس عن مكانة الدراسات الكلاسية في المدارس قريبة الشبه بآراء أفلاطون في محاورة "الجمهورية"[٣٦]. فأفلاطون أقصى الشعراء التراجيديين والكوميديين على حد سواء من "المدينة الفاضلة"، لأنهم محاكون ولا يقولون الحق وخوفًا كذلك على من يقرأ لهم؛ أما القديس باسيليوس فهو لم يمنع القارئ من قراءة كُتب الشعراء مطلقًا بل نصح بمحاكاة النحلة التي لا تطير فوق كل الزهور بالطريقة ذاتها، وأينما حَطَّتْ على زهرةٍ ما تأخذ الرحيقَ فقط وما يكفي لعملها وتمضي. ينصح القديسُ باسيليوس كلَ مسيحي يقرأ كُتُبَ غير المسيحيين أن يتمثلَ بالخير ويتجنبَ الشر، الذي يعرضونه في أعمالهم، وأن يقلدَ أعمالَ الرجال الفاضلين

وأن يتجنبَ أعمالَ الأشرار، وأن يبتعد عن وصف هؤلاء الكُتابِ لمشاهد غراميات الآلهة وعشقهم. وعمل القديس باسيليوس هذا يشبه إلى حد كبير عمل بلوتارخوس الذي يحمل عنوان "كيف يجب على الشاب أن يستمع إلى الأشعار"[٣٧] *Πῶς δεῖ τὸν νέον ποιημάτων ἀκούειν*، ليس فقط في مضمون العمل بل وأيضًا في طريقة العرض والتدليل.

ويرى الأستاذ بول لومرل P. Lemerle أن القديس باسيليوس كتب هذا العمل بهدف الدفاع عن التراث الأدبي اليوناني[٣٨]. بَيْدَ أن الأمر ليس كذلك!. فما كان القديس باسيليوس ليدافع عن أدب دنيوي خارج عن المسيحية وهو رجلُ دينٍ، بقدر ما كان يهدف إلى تقديم نظرية تربوية ونصح للشباب، دارسي الآداب الكلاسية وجميع مَن هم في نفس أعمارهم بأن أدبًا كهذا لا يمثل خطرًا على المسيحية ولا على الأخلاق المسيحية إطلاقًا، فضلاً عن أن هذا النوع من الأدب قد ينطوي على نفعٍ ما، في وقت كان غالبية الطلاب المسيحيين يتسآلون عن جدوى دراسة هذا النوع من الأدب. ولذا يمكن أن يقال إن نصيحة القديس باسيليوس هنا قائمة على خبرة شخصية في كل من الأدبَيْن الوثني والمسيحي، حيث قام القديس باسيلويس بدراسة هذين الأدبَيْن أثناء إقامته في مدينة أثينا بين عامي ٣٥١-٣٥٥ م. وتستمد هذه "الرسالة" قيمتها مِنْ أنه لم يحدث أن تصدى أحدٌ من آباء الكنيسة قبل القديس باسيليوس لهذا الموضوع الشائك، ولم يسبق أن عرضه أحدٌ منهم بهذا الشكل من الموضوعية والحيادية والتفهم كالقديس باسيليوس. وثمة رأيٌ آخر يرى أن القديس باسيليوس كتب هذه "الرسالة" كَرَدِّ فعلٍ تجاه سياسة الإمبراطور يوليان المرتد التعليمية التعسفية[٣٩]، فقد قام هذا الإمبراطور بحرمان المعلمين المسيحيين من تدريس الأدب الكلاسي، وقام كذلك بإغلاق مدرسة أثينا عام ٣٢٩ م. لقد قَدَّم القديس باسيليوس مساهمةً جادةً في فهم وجهة نظر المسيحي المثقف في الولايات الشرقية لبيزنطة، وذلك بعد فشل الإمبراطور يوليان المرتد في فرض الوثنية مرةً أخرى.

إن نظرية القديس باسيليوس إذن بخصوص الفائدة الْمَرْجُوَّةِ من دراسة الأدب الإغريقي نظرية أدبية نابعة من رجلٍ مثقفٍ ثقافةً عاليةً، ذي ذهنٍ متفتح وواسعِ الإطلاعِ على الأدب الإغريقي بكل كتاباته تقريبًا من شعراء (مثل أيسخيلوس، يوريبيدس وأريستوفانيس، إلخ)، وكُتَّاب نثر (مثل بلوتارخوس)، ومؤرخين (مثل هيرودوتوس وثوكيديديس، إلخ)، وفلاسفة (مثل أفلاطون وأرسطو)، وكُتّاب ملاحم (مثل هوميروس وهسيودوس). لقد هضم القديس باسيليوس الأدب الإغريقي برمته واستقى كثيرًا من منابعه؛ إذ أنه قرأ ودرس لعدة سنوات هذه الأعمال بحماس وجدية شهد بهما جميعُ رفقائه. والقراءة المتأنية لأعمال القديس باسيليوس توضح مدى تمكنه من الأدب الإغريقي، وكيف كان يقدر تأثير الأدب الكلاسي غير المسيحي حَقَّ تقديرٍ ويرى أن ثمة إتفاقًا، في النواحي الأخلاقية، بين الكُتّاب الوثنيين وبين مبادئ المسيحية، وأن دراسة مثل هذا النوع من الأدب تُعَدُّ مُنَاسِبة كتدريب أولي لمن يريد أن يدرك المبادئ الأخلاقية المسيحية حق الإدراك. فهذا الأدب، من وجهة نظر القديس باسيليوس، يُعِدُّ الدارسين لفهم المسيحية وتأييدها، وليس من منطلق الفائدة الأدبية الجمالية في حد ذاتها. فالقديس باسيليوس لا يُعَوِّل كثيرًا على جماليات هذه الآداب،

بل يتصور أن الدارسَ لها قد يجد فيها "ظلَ الفضيلة"، لأن الوجه الحقيقي للفضيلة يوجد في الكتب المقدسة فقط[٤٠]. فهو لا يدعو الشباب المسيحي إلى قبول كل ما يوجد في الأدب الكلاسي، بل يعلم حَقَّ العِلْمِ أن ثمة عناصر نافعة للتربية الأخلاقية والروحية خاصةً واللغوية عامةً في نصوص الأدب الكلاسي القديم[٤١]. وإذا تصورنا أن القديس باسيليوس، بدا لنا، متحمسًا للأدب الإغريقي، فهذا يرجع دون شَكٍّ إلى معرفته العميقة بالكتب المقدسة وغيرته في الحق.

ولقد نال نَصُّ "رسالة" القديس باسيليوس هذه شهرةً واسعةً على مر العصور وذلك بسبب تأثيرها في تاريخ التعليم، وكذلك لأهميتها التربوية والتعليمية؛ والتي تظهر هذه من خلال استخدامها للدفاع عن دراسة الأدب الإغريقي، أو من خلال قيمتها "كرسالة مسيحية كلاسية". ولذا فهى تُعَدُّ، بلا شك، أجمل كتابات القديس باسيليوس وأكثرها أهميةً في مجال دراسة رَدِّ فعل المسيحية تجاه المدارس الوثنية عامةً والأدب الكلاسي على وجه الخصوص. هذه "الرسالة" تمثل خلاصة أفكار القديس باسيليوس وإجابته على السؤال الذي طالما طُرح على أيامه، ألا وهو: هل يمكن لدراسة الأدب الكلاسي أن تشكل جزءً مُهِمًّا في نظام التعليم المسيحي؟ ومنذ أن نُشرت هذه "الرسالة" أصبح من الواضح أن القديس باسيليوس كان يهدف إلى أن يُسْدِي النّصُّ خدمةً عامةً أكثر من أن يكون محصورًا لدى فئة معينة من الشباب.

ثالثًا: دراسة "رسالة القديس باسيليوس الكبير إلى الشباب في كيفية الاستفادة من الأدب الكلاسي" ومصادرها

يشرح القديس باسيليوس في مقدمة "رسالته إلى الشباب" الأسبابَ التي دفعته للكتابة إليهم؛ وهذه الأسباب تتلخص في عمره الطويل وخبرته بأمور الحياة الكثيرة ودرايته بصروف الدهر، وهى أمور جعلته خبيرًا بأحوال البشر في دنياهم[٤٢]، فيقول:

«Πολλ≤ με τf παρακαλο◊ντ≤ □στι συμβουλε◊σαι ¬μ□ν,
□ πα□δεφ, ♣ β□λτιστα ε□ναι κρ□νω,
κα□ ♣ συνο□σειν ¬μ□ν □λομ□νοιφ πεπ□στευκα.
T® τε γfρ ≠λικ□αφ ο⇔τωφ □χειν,
κα□ τ∏ διf πολλ⁄ν ⁄δη γεγυμν≤σθαι πραγμ≤των,
κα□ μ—ν κα□ τ∏ τ∃φ π≤ντα παιδευον◊σηφ □π'
∞μφω μεταβολ∃φ □καν⁄φ μετασχε□ν,
□μπειρ®ν με ε□ναι τ⁄ν 'νθρωπ□νων πεπο□ηκεν,
⌠στε το□φ ∞ρτι καθισταμ□νοιφ τ∏ν β□ον □χειν⌠σπερ ∠δο◊ τ—ν 'σφα λεστ≤την ¬ποδεικν◊ναι»[43].

"أسبابٌ عديدة تدفعنى، يا أولادى، لأن أخلصَ لكم النصيحةَ فيما أعتبره حسنًا وفيما أؤمن أنه سوف يفيدكم، إنْ قبلتم نصيحتى. أقول هذا لأن عمرى (الطويل) وتمرسى فى أمور الحياة الكثيرة وأيضًا معرفتى الطويلة بصروف الدهر وتقلباته، وهى أمورٌ من شأنها أن

تصقلَ الإنسانَ، جعلتنى خبيرًا بالأمورالبشرية، حتى أننى أستطيع أن أوضحَ الطريقَ الصحيحَ لأولئك الذين بدأوا مشوارحياتهم لتوهم".

ونظرًا لأن القديس باسيليوس في صلة القرابة والنسب، كما أشرنا بعاليه، يأتي في الدرجة الثانية بعد والدَي هؤلاء الشباب، فهو يعتقدُ أنه ليس أقلَ من والدَيْهم محبةً لهم. وهكذا يحاول القديس باسيليوس رويدًا رويدًا أن يقترب من هؤلاء الشباب بطريقة تجعل كلامه ونصائحه لهم مقبولةً، حتى يكونوا في الدرجة الثانية لأولئك الذين يمتدحُهم هسيودوس في قصيدته "الأعمال والأيام" Ἔργα καὶ Ἡμέραι والذي يقتبس منه القديس باسيليوس هنا ما يلي:

«*Ο(τοφ μὲν πανς≤ριστοφ, √φ αλτ⌈π≤ντα νοεσει*
φρασσ≤μενοφ τ≤ κə □πειτα κα□ □φ τ□λοφ ∉σιν ′με□νω
□σθλ∏φ δə α® κ′κε□νοφ √φ ε® ε□π®ντι π□θηται.
√φ δ□ κε μεητə αλτ⌈νο□ς μεητə ∞λλου ′κονων
□ν θυμ⌈β≤λληται, √δə α®τə ′χρεσιοφ ′νερ»[44].

"إنَّ أفضلَ الناس طُرًا هو مَنْ يعقل بذاته كل أموره،
والذي يحصن نفسه بعدها بما هو أنفع وأجدى في النهاية،
والفاضل هو من يستجيب للمشورة ،
أما الذي لا يعقل بذاته الأمور ولا يصغي لمشورة غيره،
فهو رجلٌ يتبع نفسه في هواها ولا يصلح لشيئ قط"[٤٥].

فالمشكلة عند القديس باسيليوس لا تكمن في هل يجب دراسة الكُتَّاب القُدامى أم لا، بل تكمن في الطريقة التي سيتم بها دراسةُ هؤلاء الكُتَّاب. فالأمر إذن يتعلق بـ"كيف" ستكون هذه الدراسة وبـ"كيف" سيتم تقييم هؤلاء الكُتَّاب غير المسيحيين. ولذا فأُولَى النصائح التي يسديها القديس باسيليوس إلى الذين يترددون كل يوم إلى المدارس ويطالعون كتابات الفلاسفة القدماء هى أنه لا يجب أن يسلموا لهم قيادَ عقلهم تمامًا، ولا يجب كذلك أن ينساقوا وراءهم إلى حيث شاؤوا، بل أن ينتقوا من كلامهم ومبادئهم ما ينفعهم في حياتهم وأن يعرضوا عن ما هو خلاف ذلك، فيقول:

«*Τ∏ μ— δε□ν ε□φ⁄παξ το□φ ′νδρ≤σι τοντοιφ, ⌈σπερ πλο□ου τf πηδ≤λια τ∋φ διανο□αφ ¬μ⌊ν παραδ®νταφ, ∈περ ♦ν ∞γωσι, ταντς συν□πεσθαι, ′λλə ©σον □στ□ χρεσιμον αλτ⌊ν δεχομ□νουφ, ε□δ□ναι τ □ χρ— κα□ παριδε□ν*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 1, 24–28).

"لا يجب، كما هو الحال في دفة السفينة، أن تسلموا زمام فكركم تمامًا لأمثال هؤلاء الرجال ولا يجب كذلك أن تنساقوا إلى حيث شاؤوا، بل أن تأخذوا منهم ما هو نافعٌ وأن تعرفوا ما يجب الإعراض عنه وتجاهله".

إن من يقرأ مقدمة هذه "الرسالة" يدرك أن القديس باسيليوس لا يركن إلى سطحية الموضوع أو إلى مجرد إسداء نصائح قد يعمل بها مَن يسمعونها أو لا يعمل، ولكنه يدخل إلى جوهر الموضوع ويريد أن يكون لكلامه تأثيرٌ على سامعيه، ولهذا فهو يذكرهم بأشعار

هسيودوس السابق الإشارة إليها والتي يميز فيها بين ثلاث نوعيات من البشر، لعلها تكون هاديًا لهم.

يدخل بعد ذلك القديس باسيليوس في الموضوع الرئيسي مباشرةً، وهو الموضوع الخاص بمدى نفع أو ضرر دراسة الأدب الكلاسي. ويصرح القديس باسيليوس برأيه من البداية حتى يطمئن قلبُ الشباب قائلاً لهم:

«*Ο∧κ ∞χρηστον ψυχα□φ μαθ≈ματα τf □ξωθεν δ— ταὐτα*»,
(Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 4, 1–2).

"إن هذه التعاليم الخارجية ليست بلا جدوى للنفوس"

فحديث القديس باسيليوس الآتي يقود إلى طرح سؤال هام ألا وهو: إنْ كان الشباب أمام "أعظم جهاد" لربح الحياة الأخرى، فماذا عساه أن يفعل في الحياة الحاضرة؟ وإن كان الجنود يتدربون بنشاط وقوة بهدف اكتساب خبرة من خلال التدريبات العملية وخوض معارك المناورات وذلك لكسب الحروب، فماذا على الشباب إذن أن يفعل؟ وإجابة القديس باسيليوس هنا تعتبر جزءًا لا يتجزأ من رأيه الذي أوضحه في مقدمة "الرسالة"، إذ يقول:

«*E□φ δ— τοὐτον ∞γουσι μὲν Ἱερο□ Λ®γοι, διə 'πορρ≈των ≠μ♥φ □κπαιδενοντεφ. □Εωφ γε μ—ν ¬π Π τ∃φ ≠λικ□αφ □πακονειν τοὐ β≤θουφ τ∃φ διανο□αφ α∧τ⌊ν ο∧χ ο□ ®ν τε, □ν □τ□ροιφ ο∧ π≤ντη διεστηκ®σιν, ⌈σπερ □ν σκια□φ τισι κα□ κατ®πτροιφ, τ⌉τ∃φ ψυχ∃φ ™μματι τ□ωφ προγυμναζ®μεθα, το⌊⌋φ □ν το□φ τακτικο□φ τfφ μελ□ταφ ποιουμ□νουφ μιμο∨μενοι. ο□ γε, □ν χε ιρονομ□αιφ κα□ ∇ρχ≈σεσι τ—ν □μπειρ□αν κτησ≤μενοι, □π□ τ⌊ν 'γ⌊ν ων τοὐ □κ τ∃φ παιδι♥φ 'πολα∨ουσι κ□ρδουφ*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 2, 26–34).

"إن الكتب المقدسة تقودنا إلى هذه (الحياة الأخرى) من خلال تعاليمَ سرية. ولأننا غير قادرين في هذه السن على الاستجابة للفكر العميق لهذه الكتب فإننا ندرب أنفسنا على تعاليم أخرى، كما هو الحال في الظلال والمرايا؛ وكما يتدربُ الجنودُ على الخطط الحربية وعلى حركات الأيدى وتنظيمات الفرق من خلال الدرس والمران بغية اكتساب الخبرة في المعارك الحربية، كذلك فإن الشباب يقومون بالدراسة بغية الاستمتاع بالفائدة منذ حداثة أعمارهم".

يُلاحظ هنا أن القديس باسيليوس يتحدث كلاهوتي وليس كتربوي؛ فهو يعطي الأولوية المطلقة للكتب المقدسة التي من شأنها أن تقود الإنسان إلى الحياة الأخرى من خلال تعاليمها السرية τὰ ἀπόρρητα، ورغم هذا فإنه ينصح الشباب بأن يتدربوا على الأقوال الأخرى التي يذخرُ بها الأدبُ الكلاسي. فهذه الحياة الحاضرة، في نظر القديس باسيليوس، لا تُعَدُّ شيئًا ذا قيمة، وما قد ينفع في هذه الحياة فقط دون سواها لا يُعَدُّ شيئًا صالحًا، وذلك لأن آماله تفوق كل هذا بكثير وكل أعمال المؤمنين ترمي إلى الاستعداد لحياة الآخرة ، فيقول:

« *Ἡμε□φ, □ πα□δεφ,*

ολδὲν εἶναι χρℑμα παντ≤πασι τ∏ν 'νθρ(πινον β□ον το◊τον ¬πολαμ β≤νομεν, ο⇐τ' 'γαθ®ν τι νομ□ζομεν ©λωφ, ο⇐τ' ∇νομ≤ζομεν, √τ—ν συντ□λειαν ≠μ□ν ∞χρι τον⊂του παρ□χεται.

Ολκο◊ν ολ προγ®νων περιφ≤νειαν, ολκ □σχ⁄ν σ(ματοφ, ολ κ≤λλοφ, ολ μ□γεθοφ, ολ τfφ παρf π≤ντων 'νθρ(πων τιμ≤φ, ολ βασιλε□αν αλτ≈ν, ολχ © τι ♦ν ε□ποι τιφ τ(ν 'νθρωπ□νων, μ□γα, 'λλ' ολδ' ελχℑφ ∞ξιον κρ□νομεν, ℵ το⁄φ □χονταφ 'ποβλ□πομεν, 'λλ' □π□ μακρ®τερον πρ®μεν τα□φ □λπ□σι,

κα□ πρ∏φ □τ□ρου β□ου παρασκευ—ν/παντα πρ≤ττομεν.

□Α μὲν ο®ν ♦ν συντελ⊆ πρ∏φ το◊τον ≠μ□ν,

'γαπ♥ν τε κα□ δι(κειν παντ□ σθ□νει χρℑνα□ φαμεν», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 2, 1–13).

"فنحن، يا أولادي، لا نعتبر هذه الحياة شيئًا ذا قيمة لجميع البشر ولا نعدها خيرًا على الإطلاق، ولا نُسَمِّي ما يُقدم لنا فيها حتى الآن نوعًا من الكمال. كما أننا لا نعتبر عراقة المحتد ولا قوة الجسد ولا الجمال ولا رفعة القدر ولا مظاهر التكريم بين جميع البشر ولا كذلك المُلك نفسه ولا ما يمكن أن يتشدق به واحدٌ من البشر شيئًا عظيمًا ولا حتى أمرًا خليقا بالتمني، ولكننا نطمح إلى امتلاك ما هو أعظم من هذا وإلى ما يفوق آمالنا بكثير؛ فنفعل كل الأشياء التي ترمي إلى الاستعداد للحياة الأخرى. ونحن نقول إننا يجب أن نحب وأن نسعى بكل قوتنا خلف كل ما يمكن أن ينفعنا في هذه الحياة".

ولكي يدرك الشباب قيمة العالم الكلاسي وقيمة نتاجه الأدبي المكتوب سواء أكان شعرًا أم نثرًا أم بلاغة أم تاريخًا أم فلسفة إلخ...عليه أن يميز بين هذين النوعين من الحياة: الحاضرة ὁ ἄνθρώπινος βίος والآخرة ὁ ἕτερος βίος، وبما أن الهدف الذي ينشده الإنسان هو الحياة الأخرى فإن الحياة الحاضرة تستمد قيمتها من أنها استعدادٌ للحياة الأخرى. والحياة الأخرى عاليةٌ عن الوصف ولكن الفرق بينها وبين الحياة الحاضرة، يمثله القديس باسيليوس، مثل الحُلْم مقارنةً بالواقع أو كما أن النفسَ أثمنُ من الجسد:

«Καθ' ©σον σκι⁄ κα□ ™ναρ τ(ν 'ληθ(ν 'πολε□πεται. Μ♥λλον δ□, □ν' ο□κειοτ□ρϑ χρ≈σωμαι τ⎡παραδε□γματι, ©σϑ ψυχ— το□φ π♥σι τιμιωτ□ρα σ(ματοφ, τοσονττϑ κα□ τ(ν β□ων □κατ□ρων □στ□ τ∏ δι≤φορον», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 2, 1–13).

"تمامًا مثل الخيال والحلم مقارنةً بالواقع أو بالأحرى، بتشبيهات أكثرَ ألفةً، كما أن النفسَ أثمنُ من الجسد، هكذا تمامًا الفرقُ بين هاتين الحياتين".

هذا القول مأخوذ من محاورة "الجمهورية" لأفلاطون التي يقول فيها:

«Κα□ μ≤λə, □φη, καλ≤ τε κα□ β□βαια. Ταὐτα το□νυν, ℘ν δə □ γ(, ολδ□ν □στι πλ≈θει ολδὲ μεγ□θει πρ∏φ □κε□να ♣ τελευτ≈σαντα □ κ≤τερον περιμ□νει»[46].

"ولكن، كما قال، فإن هذه الأشياء خيرة ومضمونة. وبالتالي فإن هذه الأشياء، وهذا ما قلته، ليست لها قيمةٌ تُذكر سواءٌ في الكم أو في الحجم مقارنةً بما ينتظر الإنسان بعد موته".

فمادامت حياة الآخرة بها من المجازاة ما لا يُقَدَّرُ وما لا يُقَارَنُ لا في الكم ولا في الحجم بالحياة الحاضرة فعلى الشباب، كما يقول القديس باسيليوس، أن يبذلوا قَصَارى جهدهم وأن يعملوا كلَ ما في وسعهم للاستعداد لها، وذلك من خلال مطالعة كُتَّاب الشعر والنثر والخطباء، فيقول:

«Κα□ ≠μ□ν δ— ο®ν 'γ(να προκε□σθαι π≤ντων 'γ(νων μ□γιστο ν νομ□ζειν χρε(ν,
¬πὲρ ο(π≤ντα ποιητ□ον ≠μ□ν κα□ πονητ□ον ε□φ δνναμιν □π□ τ—ν τ οντου παρασκευ≈ν,
κα□ ποιητα□φ κα□ λογοποιο□φ κα□ ὁ≈τορσι κα□ π♥σιν 'νθρ(ποιφ ∠ μιλητ□ον ©θεν ♦ν μ□λλς πρΠφ τ—ν τϑφ ψυχϑφ □πιμ□λειαν /φ□λει≤ τιφ □σεσθαι», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 2, 34–39).

"ونحنُ أيضًا كذلك نعتبر أن من الواجب أن يكون أمامنا من الجهاد ما هو أعظم من المعارك وما يجب عمل كل شيئ من أجله وما يجب بذل الجهد والقوة من أجل الاستعداد له، ألا وهو وجوب مطالعة أعمال الشعراء وكُتَّاب النثر والخطباء وجميع البشر حيثما يوجد اهتمام بالنفس ونفع لها".

والقديس باسيليوس هنا يشير إلى الفائدة التي يمكن للشباب أن يجنوها من الأدب الكلاسي، وهى فائدة نفسية وروحية تجعلهم على استعداد لفهم حقيقة تعاليم الكتب المقدسة من خلال قراءة هذه التعاليم الخارجية τὰ ἔξω μαθήματα ، فيقول:

«Το□φ □ξω δ— τοντοιφ προτελεσθ□ντεφ,
τηνικαϑτα τ(ν □ερ(ν κα□ 'πορρ≈των □πακουσ®μεθα παιδευμ≤των·
κα□ ο□ον □ν ⇔δατι τΠν …λιον ∠ρ♥ν □θισθ□ντεφ ο⇔τωφ α∧τ⎤προσ βαλοϑμεν τ⎤φωτ□ τfφ ™ψειφ», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 2, 44–47).

"فبعد أنْ نفرغ أولاً من هذه التعاليم الخارجية نستمع بعدها إلى التعاليم المقدسة السرية، ومثلما نعتاد رؤية الشمس فى الماء فإن بوسعنا حينذاك أن نبصر بأعيننا نورالشمس".

نستنتج إذن من مقدمة هذه "الرسالة" أن القديس باسيليوس لا يرفض مطلقًا الدور الرائع الذي يمكن أن يقوم به الأدب الكلاسي في إعداد الشباب المسيحي لقبول "التعاليم المقدسة السرية" τὰ ἱερὰ καὶ ἀπόρρητα παιδεύματα الموجودة في الكتب المقدسة. فمن خلال دراسة هؤلاء الكُتَّاب القدامى يستطيع الإنسان أن يستوعب إلى التعاليم السرية الْمُذَّخَرَة في الكتب المقدسة، وهو في هذا (أي الإنسان) يُشْبِهُ مَن يتدرب أولاً على رؤية الشمس في الماء ثم بعد ذلك يرفع وجهه إلى الشمس ليرى نورها الحقيقي عيانًا.

ويرى القديس باسيليوس أن ثمة قرابةً وشبهًا بين التعليمين المسيحي والكلاسي،

وبالتالي فمن المفيد معرفة كليهما. ولو وُضع كلا التعليمين جنبًا إلى جنب وتَمَّتِ المقارنة بينهما، فإن ذلك لن يعبرَ عن أي من التعليمين أفضلُ. ولكي يوضح القديس العلاقة بين كل من التعليمين: المسيحي والكلاسي، فهو يلجأ إلى التشبيهات؛ حيث يُشَبِّهُ التعليم الديني بشجرة مثمرة والتعليم الدنيوي بأوراقها. فهدف كل إنسان من هذه الحياة الحاضرة هو الوصول إلى "الحق" وهذا "الحق" من الجيد أن يزدان بالحكمة البشرية تمامًا مثل الأوراق التي تحيط بالثمار فتضفي عليها لونًا من الجمال أكثر مما لو كانت الشجرة مثمرةً ولكن بدون أوراق، فيقول:

«□Ηπου καθ≤περ φυτο◊ ο□κε□α μὲ ν ′ρετ— τ⎤καρπ⎤βρνειν ⁄ρ α□ϑ, ϕ□ρει δ□ τινα κ®σμον κα□ φνλλα το□φ κλ≤δοιφ περισει®μενα· ο⇔τω δ— κα□ ψυχ⊆ προηγουμ□νωφ μὲ ν καρπ∏φ ≠ ′λ≈θεια, ο∧κ ∞χαρ□ γε μ—ν ο∧δὲ τ—ν θνραθεν σοφ□αν περιβεβλ∃σθαι, ο□®ν τινα φνλλα σκ□πην τε τ⎤καρπ⎤κα□ ™ψιν ο∧κ ∞ωρον παρεχ® μενα», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 3, 6–11).

"إنهما مثلُ شجرة مثمرة وأوراقها. فالشجرة تعطى ثمَرها فى حينه والأوراق تضفى على الشجرة نوعًا من الجمال وكذلك النفسُ، فإنها تعطى ثمرهَا الأساسى الذى هو (معرفة) الحق ولكن من الأفضل أن يزدانَ هذا الحقُ بالحكمة الخارجية، فتكون مثل الأوراق التى تغطى الثمرَ وبذا توحى بزمن الإثمار"[٤٧].

ما أبعد هذه التشبيهات الجميلة التي يقدمها القديس باسيليوس عن الروح العدائية التي تبناها قديمًا ضد الأدب الكلاسي بعضُ المتشددين المسيحيين. فهنا، حسب قول القديس باسيليوس، الحكمة البشرية الموجودة في الأدب الكلاسي تُعَدُّ "زينةً" للحق. فهذه الآراء التي يقدمها القديس باسيليوس هنا وروح "الرسالة" عامةً تشرح لماذا وَجَدَت هذه "الرسالة" صدىً مدوٍ خلال عصر النهضة[٤٨].

ولكي تصبح تشبيهات القديس باسيليوس أكثرَ ألفةً وسهلة الفهم فإنه يشير إلى نماذج لرجال أفاضل استطاعوا أن يجمعوا بين كلا التعليمين واستطاعوا كذلك أن يستفيدوا من التعليم الخارجي أو من الحكمة البشرية: فموسى، ذلك النبي العظيم المتفوه بحكمته لكل البشر، قد تأدب أولاً بحكمة المصريين وآدابهم[٤٩]؛ وهذه الحكمة وهذا الأدب سَمَحَا له بعد ذلك بتنمية قدراته العقلية والروحية قبل أن يتقدم ليتحدث إلى الله، الرب الحقيقي. وكذلك أيضًا دانيال النبي، الذي تَعَلَّمَ في سِنٍّ مبكرة حكمةَ الكلدانيين في بابل، أثناء السبي البابلي، ثم بعد ذلك درس التعاليم الإلهية وتَقَبَّلَهَا[٥٠]. هذان المثلان يُعَدَّان تطبيقًا واضحًا لما قاله القديس باسيليوس سابقًا عن رؤية الشمس في الماء ثم رؤية نورها الحقيقي عيانًا. فهاتان الشخصيتان الكِتَابِيَّتَان، موسى ودانيال، قد وَصَلاَ إلى رؤية الإله الحقيقي بعدما تَمَرَّسَا وتَدَرَّبَا أولاً على الحكمة البشرية.

ومن هنا يبدأ القديس باسيليوس بإفهام الشباب كيفية أن تكون هذه التعاليم الخارجية نافعةً للنفس، والطريقة التي يمكن بها دراستها، مشيرًا أولاً إلى نتاج الأدب الكلاسي عند الشعراء ثم عند كُتَّاب النثر ثم عند الخُطَباء. وأولى النصائح التي يقدمها القديس باسيليوس

عن الشعراء هى أنه لا يجب على الشباب أن يولوا اهتمامًا كثيرًا لكل ما يقوله هؤلاء الشعراء، بل أن يتمثلوا بهم في الصالحات فقط، أما في المفاسد التي يعرضونها فيجب أن يعرضوا عنهم:

«Ἐπε□ παντοδαπο□ τιν□φ ε□σι κατf τοῖ\φ λ®γουφ, μ— π♥σιν □φεξ∃φ προσ□χειν τ∏ν νο◊ν, ′λλ' ©ταν μὲ ν[τfφ] τ(ν ′γαθ(ν ′νδρ(ν πρ≤ξειφ ℵ λ®γουφ ¬μ□ν διεξ□ωσιν, ′γαπ♥ν τε κα□ ζηλο◊ν, κα□ ©τι μ≤λιστα πειρ♥σθαι τοιουτουφ εἶ ναι, ©ταν δὲ □π□ μοχθηροῖ\φ ∞νδραφ □λθωσι τ⊆ μιμ≈σει, τα◊τα δε□ φενγειν □πιφρασσομ□νουφ τf □τα», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 4, 4–10).

"لا يجب أن تولوا اهتمامًا كثيرًا لكل ما يصدر عنهم من أقوال، ولكن عندما يقصون عليكم مآثرَ أو أقوالَ رجالٍ صالحين فيجب فى هذه الحالة أن تحبوهم وأن تتمثلوا بهم قدر المستطاع. أما عندما ينبرون لمحاكاة أناس أشرار فيجب أن تعرضوا عنهم وأن تسدوا آذانكم".

نلاحظ هنا أن هذا الرأي نفسه قد عَبَّر عنه أفلاطون قديمًا، حينما لم يتردد في تحريم أشعار هوميروس نهائيًا ومن على شاكلته من الشعراء من مناهج تعليم الشباب، قائلاً:

«Τα◊τα κα□ τf τοια◊τα π≤ντα παραιτησ®μεθα□Ομηρ®ν τε κα □ τοῖ\φ ∞λλουφ ποιητfφ μ— χαλεπα□νειν ♦ν διαγρ≤φωμεν, ο∧χ(φ ο∧ ποιητικf κα□ ≠δ□α το□φ πολλο□φ ′κονειν, ′λλ' ©σϑ ποιητικ(τερα, τοσοντϑ ℜττον ′κουστ□ον παισ□ κα□ ′νδρ≤σιν ο⇒φ δε□ □λευθ□ρου φ εἶ ναι, δουλε□αν θαν≤του μ♥λλον πεφοβημ□νουφ»[51].

"إننا سنطلب من هوميروس ومن الشعراء الآخرين ألاّ يغضبوا منا، لو أننا شَطَبْنَا هذه النصوص وما شابهها، ليس لأنها غير شعرية أو غير عذبة أو غير ملائمة، ولكن لأنه كلما زادت شاعريتها كلما قَلَّتْ ملاءمتُها لأسماع الشباب والرجال الذين يجب أن يكونوا أحرارًا وأن يخشوا العبودية أكثر من خشية الموت".

فالقديس باسيليوس ينصح الشباب أن يسدوا مسامعهم عن التعاليم غير الأخلاقية غير المسيحية تمامًا كما فعل أوديسيوس ورفاقه عند مرورهم بمحاذاة جزيرة السيرينيات[٥٢] حتى لا ينجذبوا إلى غنائهم فيهلكوا. ولمواجهة خطر الكتابات الشعرية يضرب هنا القديس باسيليوس مثلاً بأوديسيوس هذا[٥٣]، كما يُحْكَى عنه، الذي هرب من سماع موسيقى السيرينيات، حيث إن:

« H̄ γfρ πρ∏φ τοῖ\φ φανλουφ τ(ν λ®γων συν≈θεια ∠δ®φ τ□φ □στιν □π□ τf πρ≤γματα», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 4, 11–12).

"الاعتياد (على سماع) الأقوال الشريرة هو الطريق إلى ارتكاب أفعال (قبيحة)".

فعلى الشباب، يقول القديس باسيليوس، أن يحترسوا من "الاعتياد على سماع

الأقوال الشريرة" لأنها قد تؤدي إلى ما هو أخطر وأسوأ ولذا فيجب بكافة الطرق أن يجنب الشبابُ أنفسهم سماع هذه الأقوال[٥٤]، لئلا ينزلقوا إلى الشر بالانقياد إلى شهوة الأقوال الشريرة، فيكونوا مثل أولئك الذين يتجرعون السم مع العسل. فلا يجب، حسب رأي القديس باسيليوس، أن يمتدح الشبابُ الشعراءَ عندما يصور هؤلاء الشباب اللاعنين والنُدَمَاء والعشاق أو السَكَارى، ولا عندما يُجِدّون السعادة في الولائم الغنية والأغاني الفاسدة فقط. ولا ينبغي عليهم أن ينتبهوا إلى هؤلاء الشعراء عندما يقصون أخبارَ آلهتم المتعددة، الذين، كما يقول الشعراءُ أنفسهم، لا يسالمون بعضُهم البعض، لأنهم يتصارعون: الأخُ مع أخيه والأبُ ضد أولاده وهؤلاء أيضًا يحاربون والديهم، فضلًا عن خلاعة هؤلاء الآلهة ومجونهم وقصص عشقهم وشهواتهم الجسدية وعلى وجه الخصوص شهوات كبير آلهتم زيوس، الشيء الذي يَنْدَى له الجبينُ خَجَلاً[٥٥]. فهوميروس، على سبيل المثال، يصور في ملحمته الشهيرة "الإلياذة" الآلهة منقسمين على ذواتهم، حتى أن بعضهم كان يحارب في صف الإغريق والبعض الآخر في صف الطرواديين. ومن الأساطير الإغريقية نعرف أن الإله كرونوس قام بانتزاع المُلْك والعرش من أبيه أورانوس؛ وقام زيوس، ابن كرونوس، بانتزاع المُلْك من الأخير. وفي ملحمة "الأوديسيا" يقدم هوميروس صورة سيئة عن العلاقات الشاذة بين الآلهة الأخوة مثل علاقة الإله آريس، إله الحرب، بأخته الربة أفروديتي، ربة الحب والجمال. وتحذير القديس باسيليوس هنا يرجع إلى أن الدراما الإغريقية بنوعيها: التراجيديا والكوميديا كانت تحتوي على طائفة من شخصيات هؤلاء الآلهة. ولذا نجد أن عزوف المسيحيين عن المسرح كان ظاهرة عامة، حتى أننا من النادر ما نجد ممثلاً مسيحيًا على الأقل خلال القرون الأربعة أو الخمسة الأولى. وبُنَاءً على كل هذا، كما يقول القديس باسيليوس، يجب على الشباب أن يعزفوا عن قراءة النصوص المسرحية[٥٦].

والأمر ذاته عن الشعراء يصدق، في رأي القديس باسيليوس، على كُتَّاب النثر والخطباء أيضًا وعلى الأخص عندما يكتبون بهدف إمتاع السامعين فقط فيقول:

«*Κα□ ῥητ®ρων δὲ*
τ—ν περ□ τ∏ ψενδεσθαι τ□χνην ο∧ μιμησ®μεθα.
O⇐τε γ∫ρ □ν δικαστηρ□οιφ, *ο⇐τ′*
□ν τα□φ ∞λλαιφ πρ≤ξεσιν □πιτ≈δειον ≠μ□ν τ∏ ψε◊δοφ,
το□φ τ—ν ∇ρθ—ν ∠δ∏ν κα□ ′ληθℑ προελομ□νοιφ το◊ β□ου,
ο□φ τ∏ μ— δικ≤ζεσθαι ν®μ∂ προστεταγμ□νον □στ□ν», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 4, 30–34).

"فلا نُحَاكِيَّنَّ كذلك فن الخطباء الذين يتحدثون بالزيف والضلال، لأن الكذب لا يفيدنا، سواء أمام المحاكم[٥٧] أو فى أى عمل آخر، نحن الذين اخترنا طريقَ الحياة القويم والحق ولنا ناموسٌ يأمرنا بألا نلجأ إلى القانون"[58].

ويتسائل القديس باسيليوس عَمَّا قد ينشده الشباب المسيحي من قراءة نصوص الخُطباء والبُلَغاء القدامى؟ هل ينشدون الفائدة أم مجرد طلاوة الكلام؟ ويجيب هو نفسه على هذا السؤال بأمثلة ونماذج، كما اعتاد أن يفعل، وذلك لأجل إقناع السامعين وهذه الأمثلة هما مثل الزهور والنحل ومثل الورود، فيقول:

« Ω̄φ γfρ τ(ν 'νθ□ων το□φ μὲν λοιπο□φ ∞χρι τ3φ ελωδ□αφ ℵ τ3φ χρ®αφ □στ□ν ≠ 'π®λαυσιφ, τα□φ μελ□ττταιφ δ' ∞ρα κα□ μ□λι λαμβ≤νειν 'π' α∧τ(ν ¬π≤ρχει, ο⇔τω δ— κ'ντα◊θα το□φ μ— τ∏ ≠δἶ καὶ □π□χαρι μ®νον τ(ν τοιοντ ων λ®γων δι(κουσιν □στι τινf κα□ /φ□λειαν 'π' α∧τ(ν ε□φ τ—ν ψυχ—ν 'ποθ□σθαι», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 4, 36–41).

"لأنه، كما أن التمتع بالزهور يتمثل عند البعض فى استنشاق عبيرها والاستمتاع بألوانها، إلاَّ أنه عند النحل يتمثل فى صنع العسل منه، كذلك فإن مطالعة الأعمال الأدبية لا يجب أن تكون لأجل طلاوة الكلام الذي فيها فقط بل لأجل أن يستطيع القارئ أن يدخر منها فائدةً ما لنفسه".

ويضرب القديس باسيليوس هنا المثل المشهور عن النحل وعمله، ناصحًا الشباب أن يقرأوا هذه الكتابات بطريقة النحل ذاتها، وذلك لأن النحل لا يطير فوق كل الزهور بالطريقة نفسها، ولا يأخذ رحيقه من المكان الذي حطَّ فيه، طالما أخذ ما يكفي لعمله، بل يترك الباقي ويمضي[٥٩]. هذا المثل عن النحل يدعم منهج القديس باسيليوس "الإنتقائي" في قراءة الأدب الكلاسي ويشرحه، ومفاده أن يأخذ الشباب من هؤلاء الكتاب ما يناسبهم وما هو قريب الصلة بالحق وحده، أما ما عدا ذلك فليتركوه.

أما مثل الورود فهو على النحو التالي:

«Κα□ καθ≤περ τ3φ ῥοδωνι♥φ το◊ ∞νθουφ δρεψ≤μενοι τfφ 'κ≤ νθαφ □κκλ□νομεν, ο⇔τω κα□ □π□ τ(ν τοιοντων λ®γων ©σον χρ≈σιμον καρπωσ≤μενοι, τ∏ βλαβερ∏ν φυλαξ®μεθα», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 4, 48–51).

"وتمامًا كما يقطفون الورودَ وهم يتحاشون أشواكَها كذلك يجب أن يأخذ (الشباب) من تلك الكتابات ما هو نافعٌ فقط وفي الوقت ذاته أن يحذروا المضرات".

ويقصد القديس باسيليوس هنا أنه لو طَبَّق هؤلاء الشباب هذين المثالين عند قراءة نصوص الخطباء فسوف يستفيدون منها بلا أدنى شك.

ولكي يحث القديس باسيليوس في هذا المقام الشبابَ على أن يفحصوا أولاً وبعناية الكتابات التي سوف يقومون بدراستها بحيث تكون متفقة مع هدفهم الذي يرنون إلى الوصول إليه في حياتهم، يشير إلى المثل الدُّوري[٦٠] القائل:

«Τὸν λίθον ποτὶ τὰν σπάρτον ἄγειν», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 4, 53–54).

"اضبط الحجر بخيط القياس"[٦١].

وهذا المثل مأخوذٌ من مشهد البَنَّاء الذي يمد الزيج (الخيط) علي الحائط لتسويته وضبطه، فبهذه الطريقة يجب على الشباب أن يقرأوا الكُتّاب والشعراء القدامى. فمن جهةٍ يجب الاحتراس والحذر مما يُقرأ والتمثل بالخير واختيار العناصر التي من شأنها من جهة

أن تبني الإنسان وتساعد على نموه في حياة الفضيلة، وتدفعه من جهة أخرى إلى الهروب من الشر ومن كل ما يؤدي إلى الفساد.

وإن كان كثيرون من الشعراء وكُتَّاب النثر والخُطباء قد مدحوا الفضيلة في كتاباتهم فإن للفلاسفة النصيب الأكبر في مدح الفضيلة، ولذا فالقديس باسيليوس يُولي اهتمامًا خاصًا بالفلسفة والكتابات الفلسفية والسبب في ذلك، حسب قوله، هو أهمية الفلسفة في الوصول إلى الحياة الأخرى، فيقول:

«*Κα□ □πειδ≈περ δι'*
'ρετ∃φ □π□ τ∏ν β□ον ≠μ□ν καταθε□ναι δε□ τ∏ν □τερον,
ε□φ ταν∨την δὲ πολλ∫ μὲν ποιητα□φ, πολλ∫ δὲ συγγραφε◊σι,
πολλ⎦δὲ □τι πλε□ω φιλοσ®φοιφ 'νδρ≤σιν ⇔μνηται,
το□φ τοιον∨τοιφ τ⎛ν λ®γων μ≤λιστα προσεκτ□ον.
Ο∧ μικρ∏ν γ∫ρ τ∏ ™φελοφ,
ο□κει®τητ≤ τινα κα□ συν≈θειαν τα□φ τ⎛ν ν□ων ψυχα□φ τ∃φ 'ρετ∃φ
□γγεν□σθαι· □πε□περ 'μετ≤στατα π□φυκεν ε⎦ναι
τ∫ τ⎛ν τοιον∨των μαθ≈ματα, δι'
Υπαλ®τητα τ⎛ν ψυχ⎛ν ε□φ β≤θοφ □νσημαιν®μενα», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 5, 1–8).

"وبما أننا نجب أن نصلَ إلى الحياة الأخرى من خلال الفضيلة التي امتدحها كلٌ من الشعراء وكُتَّاب النثر جميعًا، ولكن الفلاسفة امتدحوا الفضيلة أكثر من الفريقين الآخرين. ولذا يجب الانتباه على وجه الخصوص إلى هذا النوع من الكتابات (الفلسفية)، لأن الفائدة المرجوة منها ليست قليلة، خاصةً عندما تتمرس نفوسُ الشباب على اعتياد الفضيلة[٦٢]. فكل ما يتعلمه الشباب في هذه السن الصغيرة من دروس لا يُمحى، وفرط بساطة نفوسهم تنطبع هذه الفضائل فيها".

ويتساءل القديس باسيليوس عن الدافع الآخر الذي جعل هسيودوس يكتب أشعاره التعليمية التي يتغنى بها الجميعُ، قائلاً:

«*Ν' ο∧χ□ προτρ□ποντα το⎦φ ν□ουφ □π' 'ρετ≈ν;*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 5, 8–11).

"أليست هى الرغبة منه في حث الشباب على الفضيلة؟".

ورغم أن هسيودوس يُعد "أبا الشعر اليوناني التعليمي" ولا يُعد من ضمن الفلاسفة، إلاّ أن القديس باسيليوس يقتبس من أشعاره التعليمية وعلى وجه الخصوص من قصيدته (الأعمال والأيام) كما لو كانت ثمرةً من ثمار الحكمة أو الفلسفة. فيذكر القديس باسيليوس حديث هسيودوس الذي يوجه فيه كلامه إلى "الفُرْس الأغبياء" قائلاً لهم:

«*Τ—ν μ□ν τοι κακ®τητα κα□ □λαδ∏ν □στιν □λ□σθαι*
ῥηιδ□ωφ. λε□η μὲν ∠δ®φ, μ≤λα δə □γγ∨θι να□ει.
Τ∃φ δə 'ρετ∃φ □δρ⎛τα θεο□ προπ≤ροιθεν □θηκαν
'θ≤νατοι. μακρ∏φ δὲ κα□ ™ρθιοφ ὀμὸφ □φ α∧τ—ν

κα□ τρηχ⁄⁄φ τ∏ πρ⌊τον»[63].

"إن الرذيلة سهلةُ المنالِ
والطريقَ إليها ممهدةٌ، إذ أنها قريبةٌ مِنَّا.
ولكن الآلهة الخالدين قد جعلوا الفضيلة لا تُنال إلا بالعرق،
لأنها شاقةٌ وبعيدةٌ، والطريقُ المؤديةُ إليها
وعرةٌ في البداية".

أما النَّص الذي يورده القديس باسيليوس فيحذف منه كلمة "الآلهة" لأنه لا يؤمن إلاّ بإله واحد، ولذا فهو يستشهد بالنَّص القديم، ولكنه يختصر منه ما لا يتفق مع عقيدته وإيمانه. وهذا هو عين ما يُعَلِّمُه طوال "الرسالة" وها هو نفسه يطبقه أولاً. فَنَصُّ هسيودوس، كما يورده القديس باسيليوس، يجري على النحو التالي:

«□Οτι τραχε□α μὲν πρ⌊τον κα□ δνσβατοφ κα□ □δρ⌊τοφ συχν οὐ κα□ π®νου πλ≈ρηφ ≠ πρ∏φ 'ρετ—ν φ□ρουσα κα□ 'ν≤ντηφ ∠δ®φ. Δι®περ οὐ παντ∏φ ο⇐τε προσβ∋ναι α∧τ⊆ δι∫ τ∏ ™ρθιον, ο⇐τε προσβ≤ντα ῥ□δ□ωφ □π□ τ∏ ∞κρον □λθε□ν. □Ανω δ□ γενομ□νϑ ∠ρ♥ν ¬π≤ρχει ⌊φ μὲν λε□α τε κα□ καλ≈, ⌊φ δ□ ῥ□δ□α τε κα□ ε⇐πορο⁄φ, κα□ τ∋φ □τ□ραφ ≠δ□ων τ∋φ □π□ τ—ν κακ□αν 'γον⁄σηφ, ⌐ν 'θρ®ον ε⌈ναι λαβε□ν □κ τοὐ σ⁄νεγγυφ», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 5, 11–18).

"إن الطريقَ المؤدية إلى الفضيلة في بدايتها وعرةٌ وشاقةٌ ومليئةٌ بالعرق الغزير والعناء وليس لكل إنسان أن يسيرَ فيها باستقامة ولا يستطيع أحدٌ وإنْ سارَ فيها أن يصلَ إلى قمتها بسهولة. فإن تمكن من هذا فحينئذ سيرى كم هى سهلةٌ وممهدةٌ وجميلةٌ ومُسِرّةٌ أكثرَ من الطريق الأخرى المؤدية إلى الرذيلة، إنها طريق يمكن اجتيازها سريعًا لأنها قريبة مِنّا".

ويعلق القديس باسيليوس على هذا الجزء من أشعار هسيودوس التعليمية المشجعة على الفضيلة قائلاً:

«∂Εμο□ μὲν γ⁄ρ δοκε□ ο∧δὲν □τερον Ν' προτρ□πων ≠μ♥φ □π' 'ρετ≈ν, κα□ προκαλον⁄μενοφ ⁄πανταφ 'γαθο⁄⁄φ ε⌈ναι, ταὐτα διελθε□ν κα□ ⌈στε μ— καταμαλακισθ□ντα⁄φ πρ∏φ το⁄⁄φ π®νο υφ προαποστ∋ναι τοὐ τ□λουφ», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 5, 19–22).

"إن هسيودوس كتب هذا لا لشيء آخر إلاّ ليحثنَا على الفضيلة ويحضَ الجميعَ على أن يكونوا أخيارًا وألاّ يتخاذلوا تجاه المتاعب أوينسحبوا قبل نهاية الطريق".

ويرى القديس باسيليوس أن هوميروس هو أكثر كُتَّاب الأدب الكلاسي مدحًا للفضيلة ولذا فهو يشير هنا إلى أنه قد سمع أحد المتعمقين في فكر الشعراء يقول:

«≠ πο□ησιφ τ⌈ Ō⁄μ≈ρϑ 'ρετ∋φ □στιν □παινοφ, κα□ π≤ντα α∧τ⌈πρ∏φ τοὐτο φ□ρει, © τι μ— π≤ρεργον», (Saint Basile,

Aux jeunes gens, ed. F. Boulenger, 5, 25–28).

"إن شعرَ هوميروس ما هو إلاّ مدح للفضيلة"[٦٤]، بل إن كلَ أشعاره تهدفُ إلى هذا ماعدا ما قد ذُكِر بعاليه".

ولعل القديس باسيليوس يقصد هنا الخطيب الأنطاكي ليبانيوس الذي وُلد في أنطاكية عام ٣١٤ م. ودرس في أثينا حوالي عام ٣٤٠ م. ثم في القسطنطينية، حيث أسس هناك مدرسة لتعليم الخطابة، وفي هذه الأثناء تعرف على القديس باسيليوس الكبير ولكن إقامته لم تَدُمْ طويلاً هناك. وعندما عاد إلى موطنه (مدينة أنطاكية السورية) أسس حوالي عام ٣٥٤ م. مدرسة لتعليم الخطابة وتخرج من مدرسته هذه تلاميذ كثيرون. وقد خفتت شهرته عندما سطع في الأفق نجم تلميذه الخطيب المسيحي المفوه القديس يوحنا ذهبي الفم. ويعد ليبانيوس، مع الخطيبين هيميريوس وثيميستيوس، أحد الذين ساهموا في إنعاش الخطابة اليونانية في الوقت الذي كانت فيه تؤذن بالاختفاء، وهو أحد مؤيدي "حركة السوفسطائية الثانية" (فترة نهضة فن الخطابة اليونانية من خلال الأسلوب الأتيكي) التي ظهرت خلال القرن الثاني الميلادي[٦٥].

يقول القديس باسيليوس إنَّ أشعار هوميروس من النماذج الجيدة التي تستحق المطالعة لأن مدحَ الفضيلة في أشعار هوميروس كثيرٌ، خاصةً عندما يتحدث مثلاً عن أوديسيوس الذي نجا من الغرق وبمظهره هكذا، عاريًا، نال احترام ناوسيكا ابنة ملك الجزيرة التي وقع عليها ولم يخجل من كونه عريانًا، إذ أن هوميروس قد كساه بالفضيلة أكثر من الملبس، فيقول:

«Ἔπειτα μ□ντοι κα□ το□φ λοιπο□φ Φα□αξι τοσοντου ∞ξιον νο μισθϑναι⌈στε ′φ□νταφ τ—ν τρυφ—ν ∈ συν□ζων,
□κε□νον ′ποβλ□πειν κα□ ζηλο◊ν⁄παντα φ,
κα□ μηδ□να Φαι≤κων □ν τ⌉τ®τε ε῎ ναι
∞λλο τι ♦ν ε⇐ξασθαι μ♥λλον ℵ ϶Οδυσσ□α γεν□σθαι,
κα□ τα◊τα □κ ναυαγ□ου περισωθ□ντα», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 5, 33–37).

"حتى أن أهل جزيرة الفاياكيين أكبروه وأَجَلُّوه وتركوا حياتهم المترفه التي اعتادوا عليها ليشاهدوه ومن فرط إعجابهم به حاولوا أن يقلدوه وتمنى كلٌ منهم أن يصبحَ هو أيضًا أوديسيوس حتى وإن تحطمت سفينته"[٦٦].

ويشير القديس باسيليوس مرة أخرى إلى شارح أشعار هوميروس الذي يقول إن الشاعر هنا يحث الناس على الفضيلة قائلاً:

«϶Αρετ϶φ ¬μ□ν □πιμελητ□ον, □ ∞νθρωποι, ↵ κα□ ναυαγ≈σαν τι συνεκν≈χεται κα□ □π□ τ϶φ χ□ρσου γεν®μενον γυμν∏ν τιμι⟨τερον ′ποδε□ξει τ⟨ν ε∧δαιμ®νων Φαι≤κων», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 5, 37–42).

"يجب أن تتدربوا على الفضيلة، أيها البشر، لأنها تسبحُ معكم أيضًا عندما تتحطم سفينتكم، وتصحبكم كذلك في اليابسة عندما تطأونها عراةً، وسوف تظهركم أهلاً للكرامة

أكثر من أهل جزيرة الفاياكيين"[٦٧].

والسؤال الذي يطرحه القديس باسيليوس هنا هو: لماذا يجب أن يهتم الشباب بالفضيلة أكثر من أي شيئ آخر؟ ويجيب هو نفسه بأن كل الخيرات الأخرى المادية كالمجد والثروة التي يشتهيها ويطلبها الكثيرون بكل قلوبهم ليس دائمة ولا تنتهي إلى مالكيها بل تصادف آخرين، إذ أنها تتبدل من يَدٍّ إلى يَدٍّ مثل النردُ الذي يتقلب ولا يستقر على وضع معين[٦٨]، في حين أن "القنية الوحيدة الدائمة" التي لا تضيع هَبَاءً هى الفضيلة، لأنها تظل مع الإنسان حيًا كان أو ميتًا. ووجهة نظر هوميروس عن الفضيلة في أنها تسبحُ مع البشر عندما تتحطم سفينتهم كأوديسيوس وتصحبهم كذلك في اليابسة عندما يطأونها عراةً وأنها سوف تظهرهم أهلاً للكرامة يدعمها القديس باسيليوس بأمثلة من سولون وثيوجنيس وبروديكوس من كوس وهيراكليس.

فطبقًا لما قاله المشرع الأثيني سولون لا يجب استبدال الفضيلة بالثروة أو بالمال وذلك لأن الفضيلة ثابتة في حين أن المال غير دائم[٦٩]:

«*Πολλο γfρ πλουτο◊σι κακο, 'γαθο δὲ π◊νονται,*
'λλə ≠με◊φ α∧το◊φ ο∧ διαμειψ®μεθα
τ3φ 'ρετ3φ τ∏ν πλο◊τον, ◊πε τ∏ μὲ ν ◊μπεδ®ν ◊στιν,
χρ≈ματα δə 'νθρ(πων ∞λλοτε ∞λλοφ ◊χει»[70].

"إن كثيرًا من الأشرار أغنياءُ وبعض الأخيار فقراءُ.
ولكن نحن لن نستبدلَ، مثل هؤلاء،
الفضيلةَ بالغنى، لأن الفضيلةَ دائمةٌ والمالَ فانٍ،
يمتلكه اليومَ واحدٌ وغدًا آخرُ".

ويدعم القديس باسيليوس كلامه عن عدم ثبات الغِنَى بما قاله ثيوجنيس عن الإله[٧١]، أيًا كان الإله الذي يؤمن به:

«*Ζε∏φ γ≤ρ τοι τ∏ τ≤λαντον ◊πιρρ◊πει ∞λλοτε ∞λλωι,*
∞λλοτε μὲ ν πλουτε◊ν, ∞λλοτε μηδὲ ν ◊χειν»[72].

"إن زيوس يُميلُ الميزانَ للبشر كلَ مرة بطريقةٍ مختلفةٍ،
فأحيانًا يصبحون أثرياء وأحيانًا أخرى لا يمتلكون من حطام الدنيا شيئًا".

في هذه القول يشير ثيوجنيس إلى الإله زيوس كمتحكم في أرزاق البشر ولكن القديس باسيليوس عندما اقتبس النَّصَّ القديم أغفل ذكر اسم زيوس لأنه يؤمن بأن الله وحده هو المتحكم في أرزاق وأعمار ومصائر البشر جميعًا وليس زيوس، كبير آلهة الإغريق.

وفي مدحه للفلسفة والفلاسفة، لا ينسى القديس باسيليوس أن يشير إلى بروديكوس السوفسطائي من كُوس[٧٣]، لأنه هو أيضًا يشير أحيانًا في كتاباته الفلسفية إلى الفضيلة والرذيلة، فيقول القديس باسيليوس، إنه على الشباب أن ينتبوا إلى هذا الشخص لأنه شخصيةٌ جديرةٌ بالاعتبار. ويشير إلى ما حكاه بروديكوس عن البطل الأسطوري هيراكليس[٧٤] أنه عندما كان في سِنّ الشباب وبينما هو يفكر في أية طريق يتبعُ، أالطريق المؤدية بعَنَاءٍ إلى الفضيلة أم الطريق الأسهل، فإذا بإمرأتين قد اقتربتا منه، الواحدةُ كانت الفضيلة والأخرى

كانت الرذيلة. وقبل أن تنبس الاثنتان ببنت شفة أظهرتا بمظهريهما الخارجي فقط الفرقَ بينهما. فالواحدة كانت مصففةَ الشعر ومزدانة بالحُسن، تبدو عليها علائمُ الترف وتجرُ في أذيالها كلَ المتع. أظهرت هذه كل هذا لهيراكليس واعدةً إياه بالمزيد في محاولة منها أن تستميله إلى صفها. أما الأخرى فكانت نحيفةً ومهملةً، ذاتَ نظرات جادة وكانت تتفوه بأقوال عكس الأخرى. لم تَعِد الأخيرةُ هيراكليس بشيء مريح أو مُسِرّ، بل بآلآف المتاعب والمخاطر والعرق في كل مكان، في البر والبحر، ولكنها بينت له أن مكافأته على كل هذا أن يصبح، على حد قول بروديكوس، إلهًا[٧٥]. وفي النهاية اتبع هيراكليس طريقها[٧٦].

ينصح هنا القديس باسيليوس الشباب بأن يَعْمَلوا طبقًا لأقوال وأفعال كل هؤلاء الرجال الفلاسفة المحترمين، الذين لأجل حكمتهم، امْتَدَحُوا، قليلاً أو كثيرًا، الفضيلةَ في كتاباتهم. لأن قيمة الكلام تكمن في تحوله إلى أفعال كما يقول هوميروس:

« *Ω̄φ © γε τ—ν ∞χρι ῥημ≤των παρ∫ το□φ ∞λλοιφ φιλοσοφ□αν □ργ9 βεβαι⌠ν ο□9 πεπν◊σθαι. το□ δὲ σκια□ ἀσσουσιν*»[77].

"إن مَنْ يدعمُ بالأعمال فلسفتَه التي يجدها الآخرون في الكلمات فقط
فذاك وحده العاقلُ، أما الآخرون فإنهم مثلُ الظلال يضلون".

وهذا يشبه، في رأي القديس باسيليوس، صورةَ إنسانٍ رائعةَ الجمال، نقلها رسامٌ من الواقع إلى لوحاته، أي أن يكون هناك تطابقٌ بين الواقع والصورة، لأنه إنْ مدحَ أحدٌ الفضيلة علانيةً وفي حياته الخاصة فَضَّلَ الشهوةَ على التعقل والطمعَ على القناعة، أو إنْ قال الإنسان شيئًا وفعل شيئًا آخر أو إنْ سعى لكي يبدو مختلفًا عَمَّا هو في الحقيقة، فإن هذا السلوك وأمثاله يعد رياءً ولا يليق الأَّ بممثلي المسرح، الذين يؤدون أدوارَ ملوكٍ أو عظماءَ دون أن يكونوا في الحقيقة ملوكًا أو عظماء ولا حتى عبيدًا أحرارًا[٧٨] وهذا يوافق نظرية أفلاطون في الدراما، كما يوضح موقف القديس باسيليوس، لأن الأخير يعتبر المسرح خداعًا وكذبًا ورياءً. ويتساءل قائلاً:

«*E⌠τα μουσικ∏φ μὲν ο∧κ ♦ν □κ⌊ν δ□ξαιτο ′ν≤ρμοστον α∧τ⌡τ —ν λ∨ραν ε⌠ναι,*
κα□ χορο◊ κορυφα□οφ μ— ©τι μ≤λιστα συν→δοντα τ∏ν χορ∏ν □χει ν· α∧τ∏φ δ□ τιφ □καστοφ διαστασι≤σει πρ∏φ □αυτ®ν, κα□ ο∧χ□ το□φ λ®γοιφ ∠μολογο◊ντα τ∏ν β□ον παρ□ξεται,», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 6, 18–22).

"فمَنْ هو عازف الموسيقى الذي يقبل أن لا تكون قيثارتُه في توافق معه، أو مَنْ هو قائد الجوقة الذي يرضى بأن لا يكون أفرادُ جوقته منسجمين في الغناء معًا، ومَنْ هو الإنسان الذي سيناقض نفسه ولا تتوافق أعمالُه مع أقواله؟ فهذا الشخص سيردد مقولة يوريبيديس:

«*≠γλ⌠ττα μὲν ∇μ⌠μοκεν, ≠ δὲ φρ—ν ′ν⌠μοτοφ*»

"لساني هو الذي أَقْسَمَ أما قلبي فلم يقسم"[٧٩].

ولقد ورد هذا القول عند يوريبيديس في مسرحيته "هيبوليتوس" على لسان هيبوليتوس نفسه، أثناء حديثه مع الخادمة العجوز حيث هددها هيبوليتوس بأنه سوف يبوح

لأبيه بسر حُبّ زوجة أبيه له. ولكن الوصيفة العجوز ذكرته بوعده لها بعدم البوح بهذا السر، فصاح هيبوليتوس في وجهها قائلاً الجملة السابقة التي تحتوي على إشارة إلى عدم الوفاء بالوعد. ولقد جاء قول هذه المقولة نتيجة للمأزق الذي وقع فيه هيبوليتوس. وهنا يتساءل القديس باسيليوس عَمَّنْ يقبل أن يبدو فاضلًا وهو ليس كذلك؟ أي أن يكون مرائيًا، على نحو ما أشار أفلاطون:

«*ǝAλλ'*
ο⟨τ®φ □στιν ∠ □σχατοφ τƷφ 'δικ□αφ ©ροφ,……., τΠ δοκε□ν δ□καιον εἶναι μ— ™ντα», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 6, 25–26).

"إن أقصى حدود الظلم .....هو أن يُظهرَ أحدٌ نفسَه فاضلاً في حين أنه ليس كذلك".

ويعود القديس باسيليوس ليُذَكّر الشباب في هذا الجزء بما سبق أن نصحهم به وهو أنه يجب عليهم أن يقبلوا الأعمال التي تؤدي بهم إلى الصلاح. ولذا فليتهم، كما يتمنى القديس باسيليوس، لا يهملون الفائدة التي قد تتأتي من هذا[٨٠]. والقديس باسيليوس كإنسان عملي لم يكن من الممكن أن يكتفي بما هو نظري فقط ولذا نجده، في هذا الجزء، يبرهن على أن محتوى الأدب الكلاسي ليس كلامًا يمتدح الفضيلة، كما رأينا سابقًا، ولكنه يضم في ثناياه أيضًا "أعمالاً فاضلة" تستحق المحاكاة. ولهذا فهو يقدم أمثلةً أخرى لرجال فضلاء، قادة وفلاسفة، ضربوا المثل في الصفح والتسامح ولين الجانب والعفو عند المقدرة، مثل بيركليس، الذي يقولون عنه، إنه أُهين ذاتَ مرة على يد شخص سوقي فلم يعره أدنى اهتمام، وظل هذا الشخص السوقيُ مداومًا على إهانته لبيركليس طوال اليوم. وعندما حل المساءُ وغشيت الأرضَ ظلمةٌ وأصبح ذلك الشخص السوقي بعيدًا عن محل إقامته، أمر بيركليسُ، الذي كان مؤمنًا بالفلسفة، بأن يُنار للسوقي طريقُه[٨١].

النموذج الثاني هو إقليديس الميجاري[٨٢]، الذي يقال إن شخصًا ما ذات مرة اشتد غضبه عليه إلى درجة أنه هَدّد إقليديس بالموت وأكد ذلك بقسم. فما كان من إقليديس إلاّ أن أقسمَ هو الآخرُ أن يسترضيه ويجعله يكف عن غضبه[٨٣]. ويعلق القديس باسيليوس على هذين الموقفين متسائلاً:

«*Π®σου ∞ξιον τ⁄ν τοιοντων τι παραδειγμ≤των ε□σελθε□ν τ— ν μν≈μην, 'νδρΠφ ¬πΠ ∇ργƷφ ⁄δη κατεχομ□νου,*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 7, 14–16).

"كم سيكونُ لأمثلة التسامح والعفو هذه من تأثير عظيم في نفس الشخص الواقع فريسةً للغضب، لو أنه وعاها في ذاكرته؟!".

وكما سبق أن أشرنا، فإن القديس باسيليوس لا يرفض الأدب الكلاسي كله ولا يقبله كله، بل ينتقي منه ما هو نافع للنفس فقط. لذا فإننا نجده هنا يوجه نقدًا ليوريبيديس الذي قال في مسرحية منسوبة إليه، تحمل عنوان "ريسوس"، على لسان بطلها هيكتور:

«*Υπλο◊φ □πǝ □χθρο□φ μ◊θοφ ∠πλ□ζειν χ□ρα*»[84].

"كلمة بسيطة تُسَلِّحُ اليد ضد العدو".

فالقديس باسيليوس يقصد أنه في هذه الحالة لا يجب أن نصدق التراجيديا وخصوصًا

عندما تأمر بالغضب والانتقام:

«*Μηδὲ διαν□στασθαι πρ∏φ θυμ∏ν τ∏ παρ≤παν,*
ε□ δὲ μ— ῥ→διον το◊το, *΄λλ'*
⌈σπερ χαλιν∏ν αλτ⌉τ∏ν λογισμ∏ν □μβ≤λλονταφ,
μ— □♥ν □κφ□ρεσθαι περαιτ□ρω», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 7, 18–21).

"لا يجب أن يتحرك الإنسان مطلقًا بفعل الغضب، وإن كان هذا عسيرًا فعليه ألا يجعل للغضب سبيلاً إلى نفسه، وليجعل التعقل (المنطقَ) بمثابة الشكيمة واللجام".

ويعود القديس باسيليوس مرةً أخرى إلى نماذج من أعمال الرجال الأفاضل ويُذَكِّر الشباب بما حدث مع سقراط ابن صوفرونيسكوس، الذي اعتدى عليه شخصٌ ذاتَ مرة وضربه ضربًا مُبرحًا على وجهه، ولكن سقراط لم يقاومه بل ترك ضاربه، الذي كان ثملاً آنذاك، لكي ينفثأ غضبه، حتى تورم وجهُ سقراط واحْمَرَّ من أثر الضربات. وعندما انتهى المعتدي من ضربه لسقراطَ، لم يكن أمام الأخير إلاّ أن سَطَرَ على جبهته هذه الكلمات القليلة قائلاً: [٨٥]«ὁ δεῖνα ἐποίε»[٨٦] أي: "هذا من عمل فلان" كعادة نحاتي تماثيل الرجال[٨٧]، وكان هذا هو رد فعله إزاء ضاربه[٨٧].

ويُذَكِّر القديس باسيليوس الشباب أن هذه الأمثلة تتبعُ تقريبًا ما في الكتب المقدسة، ولذا قال لهم إنه من الأفضل أن يتشبهوا بها وخاصة في مثل سنهم هذه. ولأن هذا المَثَل الأخير، عن سقراط، يشبه قولَ السيد المسيح: "مَن لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضًا"(مت ٥:٣٩)، فإنه يعلن لهم أن الأمثلة التي أوردها لهم عن بيركليس وإقليديس وسقراط ابن صوفرونيسكوس تشبه وصايا السيد المسيح الذي يقول: "أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (مت ٥: ٤٤). وهى وصية تدعونا إلى أن نصبرَ على الذين يضطهدوننا ونحتملَ بوداعة غضبَهم ونطلبَ لأجل أعداءنا الصالحات وألا نلعنَهم، كما جاء في قوله:

« *Ω̄φ © γε □ν τοντοιφ προπαιδευθε□φ ολκ □τ'*
♦ν □κε□νοιφ ⁄φ 'δυν≤τοιφ διαπιστ≈σειεν», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 7, 38–40).

"لأن مَن يتعلم سلفًا من مثل هذه النماذج (الخارجية) سيستوثق من أن وصايا الكتب المقدسة ليست مستحيلةً".

وهذا جلُّ ما كان يقصده القديس باسيليوس بحديثه عن "رؤية الشمس في الماء ثم النظر إلى نورها الحقيقي عيانًا". فهو يريد من عرض كل هذه الأمثلة والمواقف أن يقنع الشباب بأن مَنْ يطلع على هذه الأمثلة التي يقوم بها أناسٌ أمميون وثنيون يدرك أن وصايا الكتب المقدسة ليست بثقيلة كما كان يَعْتَقِدُ بل يمكن تميمها والعمل بمقتضاها.

وبعد أن قَدَّم القديس باسيليوس للشباب أمثلة ونماذج من الأدب الكلاسي يحتذون بها في فضيلتي التسامح والعفو عند المقدرة، يعودُ ويضرب للشباب أنموذجًا آخر عن فضيلة التعفف من حياة الإسكندر الأكبر، الذي يُقال عنه:

«*√φ τ⁄φ θυγατ□ραφ Δαρε□ου α□χμαλ⁄τουφ λαβ⌊ν θαυμαστ®ν*

τι ο□ον τ∏ κ≤λλοφ παρ□χειν μαρτυρουμ□ναφ ο∧δὲ προσιδε□ν ≡ξ□ω σεν,
α□σχρ∏ν εἶ ναι κρ□νων τ∏ν ∞νδραφ □λ®ντα γυναικ⁄ν ≠ττηθ∋ναι», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 7, 40–44).

"إن (الإسكندر الأكبر)، بعد أن قام بأسر بنات داريوس، الملك الفارسي، ذوات الجمال الفائق، كما يُشهد عنهن، لم يُرد حتى أن ينظرَ إليهن، حتى لا يقالَ عنه ما يشين وهو إن (الإسكندر)، قاهرَ الرجال، قد اختار النساء"[٨٨].

ويُذَكِّرُ القديس باسيليوس الشباب أن هذا الموقف يوافق قول السيد المسيح "وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى إمراة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥: ٢٨)، لأن من ينظر إلى إمرأة نظرة شهوة فلن ينجو من الذنب طالما أنه قَبِلَ فعل الزنى في داخله حتى وإن لم يتممه.

ويعود القديس باسيليوس ليسوق مثلاً آخرَ عن فضيلة الصدق وعدم اللجوء للقسم، وذلك من خلال موقف كلينياس، تلميذ فيثاغوراس[٨٩]، الذي يصعب علينا أن يعتقد، وفقًا لرأي القديس باسيليوس، أنه يتفق مصادفةً مع وصايا الكتب المقدسة، أو أنه لم يأتِ من محاولة تقليد. فماذا كان من أمر كلينياس؟ يقول القديس باسيليوس:

«∂Εξ∏ν δι' ©ρκου τρι⁄ν ταλ≤ντων ζημ□αν ′ποφυγε□ν, ∠δ' ′π□τισε μ♥λλον ℵ⁄μοσε, κα□ τα◊τα ελορκε□ν μ□λλων, ′κον∨σαφ □μο□ δοκε□ν το◊ προστ≤γματοφ τ∏ν ©ρκον ≠μ□ν ′παγορενο ντοφ», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 7, 50–53).

"فعلى الرغم من أنه كان يمكن، بقَسَمٍ، أن يُعْفَى من دفع غرامة قدرها ثلاث تالنتات[٩٠]، فَضَّلَ أن يدفع الغرامة على أن يقسم رغم أنَّ قسمه في هذه الحالة صحيحٌ؛ ولعله سمع الوصية التي تمنعنا، نحن المسيحيين، من القسم"[٩١].

هذه الأمثلة الخمس التي ساقها القديس باسيليوس من الأدب الكلاسي من شأنها أن تقنع الشباب أن طريق الفضيلة ممكنٌ وأن تجعل وصايا الكتب المقدسة سهلة التنفيذ خاصةً عندما قَدَّمَ لكل موقف ما يناظره في الكتب المقدسة. فالشاب المسيحي عندما يقرأ ويدرس مثل هذه الأمثلة غير المسيحية لن يستطيع أن يشك في صعوبة تنفيذ الوصايا المسيحية وذلك لأن الوثنيين من قبله تَمَّمُوهَا وعملوها.

ويعود القديس باسيليوس مرةً أخرى إلى ما سبق أنْ قاله للشباب في البداية وهو أنه لا يجب أن يقبلوا كل شيئ بل أن يفحصوا كل شيء ويتمسكوا بالحسن والنافع فقط وأن يرفضوا الضار والفاسد تمامًا كما يحدث في حالة الطعام الفاسد الذي قد يضر الجسد والصحة فإن الإنسان يلقي به في سلة المهملات هكذا تمامًا يحدث في حالة المعارف التي يتلقاها الإنسان:

«Κα□ γ∫ρ α□σχρ∏ν τ⁄ν μὲν σιτ□ων τ∫ βλαβερ∫ διωθε□σθαι, τ⁄ν δὲ μαθημ≤των ♣ τ—ν ψυχ—ν ≠μ⁄ν τρ□φει μηδ□να λ®γον □χειν, ′λλ'

⌠σπερ χειμ≤ρρουν παρασνρονταφ⁄παν τΠ προστυχΠν □μβ≤λλεσθαι », (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 8, 3–6).

"لأنه مما يُخْجِل أن يرفض الإنسان الضار من الطعام ويمتنع عن الكلمة التي تغذي الروح بالدرس والمعرفة، ولكن عليه أن يكون مثل جداول المياه الجارية التي تكتسح كل ما يصادفها".

هذه الحقيقة رغم بساطتها تنطوي على كثير من الحقيقة لأن الكثير من المهن والصناعات التي نراها في حياتنا اليومية كلها تدل على "هدف محدد"؛ فالملاح لا يترك سفينته في مهب الريح بل يقودها بنفسه نحو الخُلْجَان ورامي السهام يحددُ هدفَه مسبقًا قبل أن يطلق سهمه وأيضًا الحدادُ والبَنّاءُ يعرفان طبيعة عملهما. فإن كانت هذه الأعمال والمهن البسيطة لها هدفٌ محددٌ فكيف لا تكون للحياة الحاضرة هدفٌ محددٌ؟ وكيف لا يميز الشبابُ ما في صالحهم؟ أنحن، والكلام للقديس باسيليوس، أقلُ من هؤلاء جميعًا في إمكانية تمييز النافع من الضار؟:

«Ολ γ⁄ρ δ— τ⁄ν μὲ ν χειρωνακτ⁄ν □στ□ τι π□ραφ τ∃φ □ργασ□ αφ, το◊ δὲ ′νθρωπ□νου β□ου σκοπΠφ ολκ □στι, πρΠφ √ν ′φορ⁄ντα π≤ντα ποιε□ν κα□ λ□γειν χρ— τ®ν γε μ— το□φ ′λ ®γοιφ παντ≤πασι προσεοικ□ναι μ□λλοντα», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 8, 12–16).

"فكيف يكونُ للصُّناع هدفٌ من وراء عملهم ولا يكونُ للحياة البشرية هدفٌ يجب أن نفعل كل ما يتعلق به وأن نقوله، فلا يجدر بنا أن نشبه، بأي حالٍ من الأحوال، الحيوانات العجماوات؟".

إن الحالة التي سيصل إليها الشباب، كما يقول القديس باسيليوس، هى أنهم سوف يصبحون كسفن بلا دَفَّة وجسد بلا عقل يقودُ النفس. فالسفينة بدون الدفة ترتفع تارةً إلى أعلى وتهبط تارةً أخرى إلى أسفل. فلا يجب أن تكون هذه الأمور هكذا لأنه كما في الألعاب الرياضية أو في مجال الموسيقى، يتدربُ اللاعبون في الرياضات التي يعتقدون أنهم سيتميزون فيها وسيبلون فيها بلاءً حسنا وذلك لأجل الفوز بالأكاليل التي تُعد لهم، فلا يجدر بأحد متخصص في لعبة البانكراتيون *Παγκράτιον*[٩٢] أن يتدربَ على العزف على القيثارة، ولا يجدر بعازف القيثارة أن يتدرب على العزف على الناي، بل يجب أن يتدرب كل واحد في مجال هوايته أو مجال حرفته حتى ينجز عمله[٩٣]. فالدراسة والتدريب الجاد والتركيز والتخصص، طبقًا لرأي القديس باسيليوس، هم دائمًا الطريق إلى النجاح.

وفي هذا المقام يشير القديس باسيليوس إلى رياضيين وموسيقيين ومِهَنيين استطاعوا من خلال التدريب الجاد والمثابرة أن يصلوا إلى مستوى عالٍ في الأداء، وذلك لأنهم يضعون نصب أعينهم هدفًا واحدًا ألاَ وهو "النجاح"، ومن أجل تحقيق هذا الهدف يتدربون ويحتملون المصاعب. فها هو بوليداماس[٩٤]، قبل أن يشتركَ في الألعاب الأوليمبية، ينجح في إيقاف عربات سباق الخيل وهى تجري بسرعة فائقة وذلك بكلتا يديه، وهكذا استطاع أن يقوي من عضلاته[٩٥]. وميلون[٩٦] أيضًا لم يتزحزح من مكانه وهو حاملٌ ترسَه المدهون بالزيت كما لو كان تمثالاً صَمُوتًا[٩٧]، فتدريباتُهما بوجهٍ عام كانت استعدادًا للمباريات. فلو أنهما لم يقوما بهذا

وانشغلا بموسيقى مارسياس وأوليمبوس[٩٨] الفريجيين، وتركا التدريبات الرياضية الجادة، فهل كانا سيحصلان على أكاليل النصر والمجد اللائق أم كانا سيصبحان مَثَارَ سخرية الجماهير بسبب ضمور أجسامهما وهزالها؟[٩٩].

أما في مجال الموسيقى والتي تحتاج هى الأخرى إلى تدريب جاد، فيشير القديس باسيليوس إلى تيموثيوس[١٠٠] الذي استطاع أن يتفوق على أقرانه في الموسيقى، خاصةً أنه كان قديرًا في هذا الفن. فيُقال إنه كان يستطيع، متى أراد، أن يشعلَ النفوسَ بالحماس والجدية، وكان بوسعه أيضًا أن يجعلها تهدأ وتتراخى بموسيقاه:

«*Ταντς τοι κα□ ɘΑλεξ≤νδρϑ τ∏ Φρνγιον □παυλ≈σαντα □ξανα στ∋σαι α∧τ∏ν □π□ τ∫ ©πλα λ□γεται μεταξ∏ δειπνο◊ντα, κα□ □παναγαγε□ν π≤λιν πρ∏φ το∏φ συμπ®ταφ, τ—ν Υρμον□αν χαλ≤σαντα*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 8, 38–41).

"استطاع ذاتَ مرة بنغماته الفريجية على المزمار[١٠١] أن يثير الإسكندر الأكبر ويحمله على حمل السلاح وهو جالس إلى مائدة الطعام، وعندما غير الإيقاعَ استطاع أن يعيدَه ثانيةً إلى المائدة التي كان جالسًا إليها مع رفاقه الندامى".

وهكذا يرى القديس باسيليوس أنه كما أن التدريب الجاد يؤدي إلى النجاح وتحقيق الهدف، سواء في مجال الموسيقى أو في مجال الرياضة[١٠٢]، هكذا سوف يؤدي تدربُ هؤلاء الشباب على الفضيلة من خلال قراءة كتب الأقدمين.

بعد الإشارة إلى الأكاليل والرياضيين، يقول القديس باسيليوس عن الرياضيين إنهم، كما هو معروفٌ عنهم، يتحملون مشقات كثيرة وإنم عن طريق العرق والتدريبات الشاقة يحاولون أن يزيدوا من قوتهم محتملين تعنيفات مدربيهم، تابعين في ذلك نظام التغذية الذي يصفه لهم مدربوهم حتى وإن كان نظامًا قاسيًا. وباختصار يسيرون وفق هذا النظام لدرجة أن حياتهم تصبح استعدادًا دائمًا للمباريات. ومتى كملت لياقتهم البدنية يظهرون عُراةً في الإستاد[١٠٣] ويتحملون مشقات كثيرة ومخاطرَ جَمَّة، وذلك لأجل إكليل من الزيتون أو إكليل من الغار أو لأجل أي غصن من نبات آخر، وذلك عندما يعلنُ المنادي فوزَهم. فإن كان هذا هو حال الرياضيين الذين يتبارون لأجل إكليل نباتات يذبل بعد حين فكم بالأحري يكون حال الشباب الذين تنتظرهم مكافآت سماوية هذا مقدارها، مكافآت لا يُعَبَّرُ عنها[١٠٤]؟

بهذه الأمثلة والنماذج من حياة الرياضيين والموسيقيين يعبر القديس باسيليوس في مهارة لغوية عن رأيه ويقصد أن يقول إن الجوائز والمكافآت المُعَدَّة للشباب المسيحي لا تُقاس لا في الحجم ولا في العدد بالجوائز التي يحصل عليها ههنا الرياضيون والموسيقيون، ولهذا فمن الصعب أن تُنَال هذه المكافآت بيد واحدة، ولذا يتسائل القديس باسيليوس: كيف يمكن للإنسان أن يحقق نجاحًا بيد واحدة فقط في حين أنه عندما ينام فإنه ينام على جانبيه[١٠٥]؟ فلو أن الأمر حقًا هكذا لكان للكسل قيمةٌ في الحياة ولأصبح سارذانابالوس أسعد جميع الناس[١٠٦]، وَلَمُدِحَ مارجيتيس[١٠٧] الذي ورد في أشعار هوميروس، لأجل غباءه[١٠٨].

ويستشهد القديس باسيليوس بقول بيتاكوس[١٠٩] القائل:

«*χαλεπ∏ν □φησεν □σθλ∏ν □μμεναι,*», (Saint Basile, *Aux jeunes*

gens, ed. F. Boulenger, 8, 63–64).

"هل من الصعب على الإنسان أن يظل فاضلاً؟"

هذا يعني بالنسبة للشباب المسيحي أنه بعد تعبٍ وعناءٍ كثيرٍ يستطيعون أن يحصلوا على الصالحات التي ليس لها مثيلٌ على الأرض ولذا فمن غير اللائق أن يتكاسلوا في حياتهم أو يخسروا المكافآت العظيمة لأجل سرور أرضي مؤقت من شأنه أن يكلفهم خسارة حياتهم الأبدية ومكابدة عقاب عظيم في الدينونة الأخيرة.

ويؤكد القديس باسيليوس على ضرورة الاهتمام بالنفس أكثر من الاهتمام بالجسد قائلاً إنه قد يعترض أحدٌ ويقول: "وما العمل إذن؟"، أليس ثمة حلٌ آخر سوى أن نتركَ كل الأمور الأخرى ونهتمَ فقط بما يهم النفس؟" هذا السؤال وإن كان يبدو مُرْبِكًا إلا أنه صريح وواضح ويجيب عليه القديس باسيليوس نفسه قائلاً:

«*Οʌ δ— ο®ν τ⎫σ(ματι δουλευτ□ον, ©τι μ— π♥σα 'ν≤γκη· 'λλƒ τ⊆ ψυχ⊆ τƒ β□λτιστα πορισ□ον, ⎛σπερ □κ δεσμωτηρ□ου τℑφ πρΠφ τƒ το◊ σ(ματοφ π≤θη κοινων□αφ α ʌτ—ν διƒ φιλοσοφ□αφ λνονταφ, ⁄μα δὲ κα□ τΠ σ(μα τ(ν παθ(ν κρε□ττον 'περγαζομ□νουφ, γαστρ□ μ□ν γε τƒ 'ναγκα□α ¬πηρετο◊νταφ, ο∧χ□ τƒ …διστα*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 3–8).

"إنه لا يجب، إلاّ في حالات الضرورة القصوى، أن نهتم بالجسد وأن نهتم بتزويد النفس بما هو أفضل، كما لو كنا نحررها من سجنها"[110] ومن آلام الجسد عن طريق الفلسفة، محررين في الوقت نفسه الجسد بحيث يعلو على الانفعالات والشهوات وأن نخدمها بما هو ضروري للمعدة وليس فيما هو من الملذات".

وتعليق القديس باسيليوس هنا هو أن أولئك الذين يسعون في كل مكان بحثًا عن صانعي الموائد والطهاة من أجل إشباع رغبات الجسد، ويطوفون في سبيل ذلك البر والبحر، يكونون كمن يدفع ضرائب لطاغية ظالم لحوح ألا وهو البطن. إنهم قومٌ يُرْثَى لهم، لأن معانتهم هذه تشبه معاناة مَن يكابد عقابَ نارٍ أبدية ويضيع عملُهم سُدًى وقد أصابهم ما في المثل القائل:

«*κοσκ□νϑ ϕ□ροντεφ ⇔δωρ κα□ ε□φ τετρημ□νον 'ντλο◊ντεφ π□θον*».[111]

"يحملون ماءً بمُنْخُل ويصبونه في جَرَّة مثقوبة"

«*ο∧δὲ ν π□ραφ τ(ν π®νων □χοντεφ*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 8–15).

و"ليس لتعبهم نهاية"

ويستشهد القديس باسيليوس هنا بما قاله ديوجينيس، الفيلسوف الكلبي[112]، من أن الاهتمام الزائد بتصفيف الشعر والهندام، من شِيَمِ البائسين والظالمين[113] حتى أن القديس باسيليوس ليعتبره عارًا أن يُدعى أحدٌ أنيقًا، ويشير إلى مقولة ديوجينيس:

«*□Ωστε καλλωπιστ—ν ε⎫ ναι*

κα□ ∇νομ≤ζεσθαι ∠μο□ωφ α□σχρ∏ν ≠γε□σθα□ φημι δε□ν το∏φ τοιο ντουφ⁄φ τ∏ □ταιρε□ν ℵ′λλοτρ□οιφ γ≤μοιφ □πιβουλενειν», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 15–19).

"لدرجة أنني أقول إن كلمة أنيق يجب أن تُطلق كذلك على الشرير الفاجر أو على هؤلاء الذين يتخذون محظياتٍ أو يتزوجون زواجًا غير شرعي".

وكناسك ومتصوف مسيحي يقول القديس باسيليوس إنه ليس ثمة فرقٌ عند عاقل بين أن يرتدي عباءةً أو أن يرتدي رداءً بسيطًا مادام كل من الزيين يقيه من برد الشتاء وحر الصيف. وكذلك في بقية الأمور لا يجب أن نتعدى حدود الضرورة ولا يجب أن نهتمَ بما ينفعُ الجسدَ أكثر مما هو نافعٌ للنفس. لأنه عارٌ على من يُدعى "إنسانًا" أن يكون أنيقًا أو محبًا لجسده أو أن يكون خاضعًا لشهوة ما. فالاهتمام الزائد بإظهار جمال الجسد ينمُ عن إنسان لا يُقَدِّر قيمة النفس. ويستشهد في هذا المقام بقول:

«Ο∧ τ∏ ∠ρ⁄μεν®ν □στιν ∠ ∞νθρωποφ, δι′ ′λλ≤ τινοφ δε□ περιττοτ□ραφ σοφ□αφ, ℜφ □καστοφ ≠μ⁄ν ©στιφ ποτ□ □στιν □αυτ∏ν □πιγν⁄σεται».[114]

"ليسَ الانسانُ بمظهره، فالأمرُ يتطلب حكمةً زائدة كي يعرف كلُ واحد مِنّا، أيًا كان، حقيقة نفسه".

وثمة تلميحٌ هنا من القديس باسيليوس إلى القول الشهير الذي كان منقوشًا على أحد جدران معبد الإله أبوللون في دلفي القائل: "Γνῶθι σαυτόν"[115] أي "اعرف نفسك". فيقول القديس باسيليوس:

«Το◊το δὲ μ— καθηραμ□νοιφ τ∏ν νο◊ν ′δυνατ⁄τερον ℵ′λημ⁄ντι πρ∏φ τ∏ν …λιον ′ναβλ□ψαι», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 33–34).

"فالبنسبة لأولئك الذين لا ينقون هذا العقل يكون من الأشد استحالة عليهم أن يحدقوا في قرص الشمس".

وهنا يصل القديس باسيليوس إلى الحديث عن تطهير النفس ولكن بطريقة مبسطة جدًا لتكون في متناول إدارك الشباب. فحواس الإنسان الخمسة قد تعوق تطهير الإنسان لنفسه. فتطهيرُ النفس[116]، حسب القديس باسيليوس، يأتي من خلال:

«T∫φ δι∫ τ⁄ν α□σθ≈σεων ≠δον∫φ ′τιμ≤ζειν. μ— ∇φθαλμο∏φ □σ τι♥ν τα□φ ′τ®ποιφ τ⁄ν θαυματοποι⁄ν □πιδε□ξεσιν, ℵ′ σωμ≤των θ□αι φ ≠δονℑφ κ□ντρον □ναφι□ντων, μ— δι∫ τ⁄ν⁄των διεφθαρμ□νην μελϑ δ□αν τ⁄ν ψυχ⁄ν κατα□χε□ν», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 35–39).

"عدم إشباع الأعين بالنظر إلى عروض السحرة والحواه التافهة، ولا إلى مشاهدة الأجساد العارية، التي من شأنها أن تحركَ مهماز الشهوة (وهذه هى أول الحواس؛ حاسة النظر) ولا عن طريق إفساد الآذان (بسماع) الأغاني الخليعة، التي تستحوذ على النفس

(حاسة السمع)".

ويُعَوِّلُ القديس باسيليوس كثيرًا على الموسيقى كعامل أساسي في تشكيل المشاعر الإنسانية، حتى أنه وضعها في الفقرة السابقة كعامل من عوامل إفساد النفس أو إصلاحها. ومن هذا المنطلق ينصح الشباب بأن:

«*ǝΑνελευθερ□αφ γfρ δ— κα□ ταπειν®τητοφ □κγονα π≤θη □κ τ ο◊ τοιο◊δε τ∃φ μουσικ∃φ ε□δουφ □γγ□νεσθαι π□φυκεν.*

ǝΑλλf τ—ν □τ□ραν μεταδιωκτ□ον ≠μ□ν,

τ—ν ′με□νω τε κα□ ε□φ ∞μεινον φ□ρουσαν, ∈ κα□ Δαβ□δ χρ(μενοφ, ∠ ποιητ—φ τ(ν □ερ(ν ↑σμ≤των, □κ τ∃φ μαν□αφ, ⌈φ φασι, τ∏ν βασιλ□α καθ□στη», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 39–45).

"لا يستمعوا إلى الموسيقى السيئة التي من شأنها أن تؤدي إلى إلهاء المشاعر وإلى الوضاعة وتسبب الانفعالات الغريزية، ولكن إلى تلك الموسيقى الأخرى التي يجب علينا اتباعها لأنها أفضل وتؤدي إلى ما هو أفضل، مثل تلك التي كان يعزفها داود النبي، مؤلف المزامير المقدسة التي كان يطردُ بها الأرواحَ الشريرة عن الملك شاؤل"[١١٧].

وعن تأثير الموسيقى في النفس يورد القديس باسيليوس ما قيل عن الفيلسوف فيثاغورس من أنه قابل ذاتَ مرة بعض السَّكَارى المعربدين، فأوعز إلى عازف الناي الذي كان يقود موكبهم أن يغيرَ الإيقاع ويعزفَ لحنًا دُورِيًّا على المزمار، فما كان من هؤلاء السكارى إلا أن أفاقوا من تأثير اللحن ورموا أكاليلهم وقفلوا راجعين وهم خجلون من أنفسهم[١١٨]. وهناك أشخاص آخرون، تحت تأثير أصوات الناي أيضًا، يعربدون مثل الكوريبانتيس[١١٩]، أتباع الربة كيبيلي وعابدات الإله باخوس[١٢٠]. وبالتالي فإن القديس باسيليوس يُظهر لنا الفارق الكبير بين الموسيقى المحببة والموسيقى السيئة، فيقول:

«*□Ωστε τ∃φ ν◊ν δ— κρατονσηφ ταντηφ ℜττον ¬μ□ν μεθεκτ□ ον ℵ′ ο¬τινοσο◊ν τ(ν προδ≈λωφ α□σχ□στων*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 51–53).

"وبالتالي، فإن الموسيقى السائدة الآن هى، على ما يبدو، سبب الأمور المعيبة المخجلة التي تحدث لنا".

ثم ينتقل القديس باسيليوس بعد ذلك إلى الحديث عن عيب أخلاقي آخر قد يعوق تطهير النفس، ألا وهو ذلك الجانب الذي يخص الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب وتعبيق الهواء بأنواع العطور وتدليك الأجساد بأنواع المستحضرات التجميلية (حاسة الشم)، متسائلاً:

«*T□ δ′*

∞ν τιφ ε□ποι περ□ το◊ μ— χρ∃ναι τfφ □ν Υφ⊆ κα□ γενσει δι(κειν ≠δο ν≤φ,

ℵ′ ©τι καταναγκ≤ζουσιν α(ται το⌉φ περ□ τ—ν □αυτ(ν θ≈ραν □σχολ ακ®ταφ, ⌈σπερ τf θρ□μματα, πρ∏φ τ—ν γαστ□ρα κα□ τf ¬π′

αλτ—ν συννενευκ®ταφ ζ∃ν;», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 56–60).

"فكيف إذا قال شخص إنه لا يجب السعي وراء شهوات اللمس (حاسة اللمس) والمذاق (حاسة التذوق)، تلك الشهوات التي تُجبر الذين يسعون وراءها إلى الانغماس في الملذات مثل الوحوش الضارية، وإلى الاهتمام فَحَسْب بشهوتي البطن والمضاجعة؟"[١٢١].

هنا يصل القديس باسيليوس إلى أصعب رأي يبديه في هذه "الرسالة"، وهو رأي يخص الجسد، وذلك عندما يقول إنه يجب أن لا يَهتمَ بالجسد كلُ مَنْ أراد أن لا ينغمس في الشهوات الموحلة أو يهتم به في حدود ضيقة جدًا كقول أفلاطون:

«τοσο◊τον 'νθεκτ□ον αλτο◊ ©σον ¬πηρεσ□αν φιλοσοφ□ω κτωμ□νουφ»[122].

"ينبغي أن نهتم بالجسد على قدر ما يساعدنا على اكتساب الفلسفة (الحكمة)"[١٢٣].

فكل من يهتم بالجسد ليكون في أحسن حالاته وهيئته ومن جهة أخرى يهمل تمامًا النفس التي تستخدم هذا الجسد يشبهه القديس باسيليوس بمن يهتم بأدوات العمل أكثر من اهتمامه بالعمل نفسه وبُنَاءً علي هذا الفكر، حسب رأي القديس باسيليوس:

«Π♥ν μὲν ο®ν τολναντ□ον κολ≤ζειν αλτ∏ κα□ κατ□χειν, ⌈σπερ θηρ□ου τƒφ ∠ρμ≤φ, προσ∃κε κα□ το⌉φ 'π' αλτο◊ θορνβουφ □γγινομ□νουφ τ⊆ ψυχ⊆ ο□ονε□ μ≤στιγι τ⌈λογισμ⌈κ αθικνουμ□νουφ κοιμ□ζειν,

'λλƒ μ— π≤ντα χαλινΠν ≠δον∃φ 'ν□νταφ περιορ♥ν τΠν νο◊ν⌈σπερ ≠ ν□οχον ¬π∏ δυσην□ων □ππων ⇔βρει φερομ□νων παρασυρ®μενον ∞ γεσθαι», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 70–76).

"وبناءً على ذلك فإن عليهم – على العكس من ذلك – أن يقمعوا الجسدَ كله مع شهواته، كما لو كانت وحشًا ضاريًا. ومن المناسب لهم أن يجعلوا الأصوات الصادرة منه للنفس كما لو كانت سوطًا للعقل يدفع من يمسهم إلى النوم. بل يجب عليهم أن لا يحتقروا العقل فيطلقوا عقال كل ما يكبح جماحه، كما يحدث مع قائد المركبة الذي ينساق إلى القحة فتجره خيولٌ جامحة"[١٢٤].

وكتأكيد لرأيه هذا يشير القديس باسيليوس إلى فيثاغورس الذي، عندما لاحظ أن وزن أحد تلاميذه قد ازداد جدًا رغم التمارين والتدريبات الرياضية، سأله متعجبًا:

«Ολ πανσς χαλεπ⌈τερον σεαυτ⌈κατασκευ≤ζων τΠ δεσμωτ≈ριον;»[125].

"ألا تَكُفَّ عن تحصين سجنك بما هو أصعب؟"[١٢٦]

ويجد القديس باسيليوس في التقليد الذي وصل إليه ما يؤكد كلامه بخصوص الجسد، فيقول عن أفلاطون إنه إذ توقع الضرر الذي يأتي من الجسد، ولكي يساعد تلاميذه على الحدِّ من التنعم الزائد لأجسادهم [١٢٧]:

«ΤΠ νοσ⌈δεφ χωρ□ον τ∃φ ∂Αττικ∃φ τ—ν ∂Ακαδημ□αν καταλ αβε□ν □ξεπ□τηδεφ», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9,

81–82).

"بنى أكاديميته في منطقة أتيكا غير المناسبة صحيًا".

وبعد الإشارة إلى مَثَل تلميذ فيثاغورس وأكاديمية أفلاطون يختتم القديس باسيليوس كلامه هنا بذكر ما قد سمعه هو نفسه من الأطباء المعاصرين له، فيقول:

«*ɔΕγ∠ δὲ καὶ σφαλερὸν εἶναι τὸν π' ἄκρον ἐλεξάμην ἀτρὸν ἀκούσα*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 84–85).

"لقد سمعت أنا نفسي الأطباء يعلنون أن الاهتمام الزائد بالجسد أمرٌ جد خطيرٌ"[١٢٨].

فإن كان القديس باسيليوس يَقْبَلُ الرأي القائل بأن الاهتمام الزائد بالجسد أمرٌ جد خطيرٌ، يعود ليؤكد أن هذا الاهتمام المفرط بالنسبة للجسد نفسه غيرُ نافع كما أنه يمثل عائقًا أمام النفس، ولذا فالخضوعُ للجسد وتزيينه الزائد يُعَدُّ جنونًا:

«*Τ® γε ¬ποπεπτωκέναι τοντϑ καὶ θεραπεύειν μανίᾳ σαφῶς*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 86–89).

"وبالتالي فإن الجنون الواضح يحل به (بالجسد) بسبب هذه العناية المفرطة".

ورغم هذا لا يرى القديس باسيليوس أن الأمر مستحيلٌ تمامًا بل يقدم له حلاً بسيطًا في رأيٍ إيجابيٍ وكلمات بسيطة واضعًا الأمر في صيغة تمني إذ يقول:

«*ɔΑλλ∠ μὴν εἰ τοντου γε ¬περορ♥ν μελετῶσαιμεν, σχολῇ γ' ♦ν ἄλλο τι τ⌋ν 'νθρωπίνων θαυμάσαιμεν*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 89–90).

"إنه لو تدرب الشباب على أن لا يهتموا اهتمامًا زائدًا بالجسد فلن يكونَ هناك صلاحٌ بشري آخر يستحق الإعجاب أكثر من هذا".

وينتقل القديس باسيليوس بعد ذلك إلى مناقشة موضوع آخر قريب الصلة بالملذات الجسدية ألا وهو الإجابة على السؤال التالي: فيم سنستخدمُ المالَ إن كنا نهمل الملذات الجسدية؟ فالقديس باسيليوس لا يرى سببًا واحدًا لاكتناز الثروات:

«*Ἐγ∠ μὲν οὐχ ⌊ρῶ, πλοῦν εἰς μέσον, κατ∠ τοῖ⌋ν ἐν τοῖς μυθοις δρυκονταις, ἄδον῀ν τινα φίλοι θησαυροῖς κατορωρυγμένοις ἐπαγρυπνεῖν*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 92–94).

"فأنا لا أرى سببًا لذلك إلاّ إذا كان ذلك في حد ذاته يسبب لذةً ما بأن يسهر الإنسانُ حارسًا كنوزًا مدفونة في أعماق الأرض كغول الأساطير"[١٢٩].

فالإنسان الذي تدربَ على أن يتصرفَ في المال بِحُرِّيَّةٍ مقدسة وليست حريةً بمعنى التسيب، حسب رأي القديس باسيليوس، سوف يبتعد عن كل ما هو وضيع، سواء كان فعلاً أو قولاً، وسوف يحتقرُ ما هو زائدٌ عن الضرورة، حتى وإن كان قطعة ذهبٍ من نهر باكتولوس[١٣٠] أو منتجًا من أعمال النمل حامل الذهب[١٣١]. وسوف يقتني الأشياءَ طبقًا للاحتياجات الطبيعية (أي ترتيب الأشياء من حيث الأولوية) وليس طبقًا لمطالب الملذات. فكلُ مَنْ تعدى حدود الضروريات، حسب رأي القديس باسيليوس، يشبه مَنْ ينحدر من علٍ

ومَنْ ينحدر من علٍ وليس له سندٌ أثناء انحداره فسيظل يتدحرج ولن يتوقفَ أبدًا. بكلمات أخرى: إنه كلما اشتهى الإنسان أن يمتلك أكثر كلما كان له احتياجٌ أكثر لأشياء أخرى وذلك من أجل إرضاء رغباته[١٣٢]، طبقًا لما قاله سولون:

«*Πλοντου δ' ολδὲν τ□ρμα πεφασμ□νον 'νδρ≤σι κε□ται*»[133].

"ليس ثمة حدٌ لثروة البشر"[١٣٤].

وفي هذا الصدد لا يُخْفي القديس باسيليوس إعجابه بثيوجنيس الذي يقول:

«*Ολκ □ραμαι πλουτε□ν, ο⇐τ' ε⇐χομαι, 'λλ≤μοι ε□η ζ3ν 'πΠ τ(ν ∇λ□γων, μηδὲν □χοντι κακ®ν*»[135].

"لا أريدُ أن أكون غنيًا ولا أتمنى ذلك، لكنني أريد فقط
أن أحيا حياة الكفاف، دون أن يصيبني أي شر".

ويظهر القديس باسيليوس إعجابه كذلك باحتقار ديوجينيس الكلبي بكل الخيرات الأرضية، لأن الأخير صَرَّحَ ذات مرة قائلاً:

«*Ὅφ γε κα□ βασιλ□ωφ το◊ μεγ≤λου □αυτΠν 'π□φηνε πλουσι(τε ρον, τ⎫□λαττ®νων ℵ □κε□νοφ κατƒ τΠν β□ον προσδε□σθαι*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 112–115).

"إنه يبدو أغنى حتى من المَلك العظيم (ملك الفرس)، لأن احتياجاته في الحياة أقلُ بكثير من احتياجات ذاك"[١٣٦].

يستنتج القديس باسيليوس من هذا أنه ليس من الضروري أن يكون الإنسان ثَريًا ولا يجب أن يشتهي الثراء عندما يكون فقيرًا وحتى وإن أصبح ثَريًا فعليه أن يفكر في كيف سيتصرف في هذا الثراء تصرفًا صحيحًا. وهنا يشير القديس باسيليوس إلى سقراط الذي قال لأحد المفتخرين بثرواتهم:

«*ολ πρ®τερον αλτΠν θαυμ≤σειν □φη πρ□ν ♦ν κα□ ©τι κεχρ3σθαι τοντοιφ □π□σταται πειραθ3ναι*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 115–123).

"إنه لن يُعْجَبَ به قبل أن يختبره ويعرف كيف سيستخدم هذا الثراء"[١٣٧].

ولكي يوضحَ القديس باسيليوس للشباب أن استثمار الثراء أهمُ من الثراء نفسه، يشير إلى النحاتَيْن فيدياس وبوليكليتوس، حينث صنع أولهما تمثالاً لزيوس من الذهب والعاج بناءً على طلب أهل مدينة إليوس، وصنع الأخرُ تمثالاً للربة هيرا لأهل مدينة أرجوس. فهذان لو تركا فنَ النحت ولم يستثمراه بهذه الطريقة، وفرحا بالثروات الطائلة فقط لصارا مثارَ سخريةِ الجميع، لأن فنَ النحت هو الذي أظهر جمالَ الذهب وقيمةَ العاج. فموقف هؤلاء الشباب سيكون أقلَ سوءًا من موقف هذين المثاليْن إذا اعتبروا أن الفضيلة غيرُ كافية لزينة النفس[١٣٨]. ولكي يتحاشى القديس باسيليوس أي سوء فهم بخصوص ما قاله عن الجسد يعود ليؤكد أنه لا يصح أن يهملَ الشبابُ الثروةَ ويحتقروا الملذات الجسدية والشهوات النابعة من المشاعر من جهة ومن جهة أخرى يتبعون المرواغة والمكرَ والتعطش إلى الربح غير المشروع كثعلب أرخيلوخوس الماكر؟[١٣٩].

ونظرًا لأن جلَ ما يجب أن يتحاشاه الإنسانُ العاقلُ هو طلبُ المجد الباطل ومعرفة

رأي الكثيرين، يقول القديس باسيليوس إنَّ على الشاب أن يتخذَ مرشدًا له في الحياة القولَ المستقيمَ حتى وإن وَجَدَ معارضةً من كثيرين، أو تُقُوّلَ عليه أو تعرضت حياته للخطر من أجل الخير، بل عليه ألا يتنازلَ عن رأيٍ طالما أنه يؤمن أنه الصوابٌ[١٤٠]. فالذي لا يعيش وفق هذا النهج فلا فرق بينه وبين الساحر المصري بروتيوس[١٤١] الذي، متى أراد، كان يتحول إلى نباتٍ أو حيوانٍ أو نارٍ أو ماءٍ أو إلى أي شيء آخر أراده؟ فمثل هذا (المُتَلَوّن كالحرباء) سوف يمتدحُ العدالة مرةً أمام مَنْ يقدرونها، ومرةً أخرى سوف يذمها ويهجوها، وذلك عندما يشعر أن الظلمَ هو الذي يسود، الأمرُ الذي يُعَدُّ من شِيَمِ المنافقين. فمثل هذا الإنسان يشبه الحرباءَ التي يقولون إنها تغير لونَها كي تجاري البيئة التي توجد فيها، لأنه يغيرُ رأيه طبقًا لآراء الآخرين[١٤٢].

ورغم كل ما يَدْخَرُ به الأدب الكلاسي من منافع أشار إليها القديس باسيليوس بالتفصيل في معرض "رسالته إلى الشباب" هذه، يعود ويؤكد في الجزء الختامي منها أن كل ما أشار إليه من فضائل سوف يجده الشباب وبطريقة أكمل في الكتب المقدسة، ولكن الأدب الكلاسي بلا شك نافعٌ ومفيدٌ كما لو كان يمثل "ظل الفضيلة":

«*ǝΑλλƒ ταὐτα μ□ν που κ′ν το□φ ≠μετ□ροιφ λ®γοιφ τελει®τερο ν μαθησ®μεθα·* *©σον δὲ σκιαγραφ□αν τινƒ τƷφ ′ρετƷφ, τ® γε νὐν εἶ ναι,* *□κ τ⁄ν □ξωθεν παιδευμ≤των περιγραψ⁄μεθα*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 10, 1–4).

"إن هذه الأمور (الأخلاقية) يمكن تعلمها بطريقة أكمل من كتبنا (المقدسة)، فهى الآن هكذا على قدر رسمها للفضيلة، ولكن ينبغي علينا أن نقوم بوصفها من كتابات وتعليم الأمم الأخرى الخارجية".

والنصيحة الأخيرة التي يريد القديس باسيليوس أن يسديها إلى الشباب هى أن يحاولوا أن يجمعوا من كل شيء ما هو نافعٌ، كما يحدث في حالة الأنهار الكبيرة، وبهذا تصير الزيادة من كل جهة، ويجب أن يعتبروا قولَ هسيودوس الذي ينصح بأنْ "نضيف القليل إلى القليل"[١٤٣] قولاً صحيحًا، وهذا لا ينطبق فقط على زيادة الأموال، بل وأيضًا على كل معرفة وكل علم[١٤٤]. فها هو فياس، أحد الحكماء السبعة، عند وداعه ابنَه الذي كان على وشك أن يسافر إلى مصر، سأله ابنه عن ما هو الشيء الذي إذا فعله ازداد سرورًا، فقال له الأبُ:

«*ǝΕφ®διον,* *□φη,* *πρ⁄φ γƷραφ κτησ≤μενοφ*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 10, 11–12).

"اكتسب زادًا لشيخوختك"[١٤٥].

وكان الأب الحكيم يقصد بالزاد الفضيلةَ، ولو أنه حددَ نفعَها في هذه الحياة البشرية الحاضرة فقط[١٤٦]. فإن كانت الفضيلة ضرورية ونافعة عند الوثنيين فكم تكون بالأكثر عند الشباب المسيحي الذي يسعى إلى حياة الآخرة. ويعلق القديس باسيليوس على هذا قائلاً إنه لو حَسَبَ أحدٌ عمر تيثونوس[١٤٧] أو أرجاثونيوس[١٤٨] أو عمر متوشالح الذي يقال إنه عاش ٩٦٩ سنةً، أو حَسَبَ عمرَ البشر جميعًا منذ لحظة وجودهم حتى الآن، فإنه سوف يضحك ملء شدقيه حينما تخطر على باله الحياة الآخرة التي لا نهاية لها، والتي لا يستطيعُ عقلٌ بشريٌ أن

يضعَ لها نهايةً تمامًا كالنفس البشرية في خلودها[١٤٩]. فلهذه الحياة الأبدية عينها يخلصُ القديس باسيليوس النصيحة للشباب بأن يدخروا لهم عونًا كما يقول المثلُ:

«*Π≤ντα λ□θον κινο◊νταφ, ©θεν ♦ν μ□λλς τιφ ¬μ□ν □π' α∧τ∏ν /φ□λεια γεν≈σεσθαι*», (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 10, 23–24).

"مُقَلِّبين كلَ حجرٍ لعلكم تجدون تحته النفع لأنفسكم"[١٥٠].

فالأمر جدُ صعبٌ ويحتاج من الشباب بذل الجهد، ولكن هذا لا يعني، في رأي القديس باسيليوس، أن يتخاذل الشباب أو تخور عزائمهم، ولكن أن يضعوا نصبَ أعينهم نصيحة فيثاغورس القائلة:

«*□λο◊ β□ον τ∏ν ∞ριστον, ≠δ∏ν δ' α∧τ∏ν ≠ συν≈θεια ποι≈σει*»[151].

"إن كلَ واحد يجب أن يختارَ الحياة الفضلى منتظرًا ،بالتعود، أن يصبحَ سعيدا"، فإنهم سوف يسعدون حينئذٍ بحياتهم. لأن من العار، بعد أن تضيع الحياةُ الحاضرة هباءً، أن يحاولَ الإنسان في المستقبل أن يستعيدَ الماضي مرة أخرى عندما لا يُجْدِي نفعٌ حتى وإن َحزن دهرًا[١٥٢].

وإن كان القديس باسيليوس في معرض "رسالته إلى الشباب" قد تكلم لعدة مراتٍ كلاهوتي ولمراتٍ أخرى كتربوي فإنه هنا في الختام يتكلم كطبيب، مُقسمًا الشباب إلى ثلاث فئات، متمنيًا لهم ألا يكونوا من الفئة الثالثة التي لا شفاءَ منها، وألا يكون مرضهم النفسي مثل المرض الجسدي فيقول:

«*Ο□ μèν γ∫ρ τ∫ μικρ∫ τ(ν παθ(ν κ≤μνοντεφ, α∧το□ παρ∫ το∏φ □ατρο∏φ □ρχονται·*
ο□ δè ¬π∏ μειζ®νων καταληφθ□ντεφ 'ρρωστημ≤των, □φ' □αυτο∏φ καλο◊σι το∏φ θεραπενσονταφ·
ο□ δè ε□φ 'ν≈κεστον παντελ(φ μελαγχολ□αφ παρενεχθ□ντεφ, ο∧δè προσι®νταφ προσ□ενταιλ» (Saint Basile, *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 10, 33–42).

"الفئة الأولى هى فئة مَن يمرضون مرضًا خفيفًا، وهؤلاء يذهبون بأنفسهم إلى الطبيب. والفئة الثانية هى فئة مَن تشتد عليهم وطأةُ المرض، وهؤلاء يستدعون الطبيب الذي يعالجهم إلى المنزل، أما الفئة الثالثة فهى فئة مَن يعانون من مرضٍ عضال لا شفاءَ منه وهؤلاء لا يقبلون أبدًا أنَ يقتربَ منهم الأطباءُ".

وفي النهاية يتمنى القديس باسيليوس ألا يصاب الشباب بهذا النوع الأخير من المرض، إن هم أهملوا هذه النصائحَ السديدة.

الخاتمة

بعد هذا العرض الشامل لمحتوى "رسالة القديس باسيليوس الكبير إلى الشباب المسيحي في كيفية الاستفادة من الأدب الكلاسي" يتضح لنا كيف أن القديس باسيليوس كان

يُقَدِّرُ الأدب الكلاسي حق تقدير ويتضح كذلك من خلال الإقتباسات التي أوردها القديس باسيليوس في "رسالته" كيف أنه، بجانب تعلمه الكتب المقدسة، كان مُلِمًّا بنصوص الأدب الكلاسي كله تقريبًا وبتأثير الروح الهيلّينية فيه. فدفاعه عن الثقافة الهيلّينية واضح وصريح وموقفه من هذه الثقافة موقف شجاع وجرئ. فهذا الإتجاه الذي يتبناه القديس باسيليوس ليس فقط نتاج وجهة نظر أدبية أو فلسفية أو جمالية، ولكنه أيضًا نتاج وجهة نظر تعليمية بهدف فهم أفضل للحياة وتفهم أعمق للتعاليم المسيحية.

وفي بساطة ووضوح يشرح القديس باسيليوس الكبير منهجه ويؤيده بأدلة وبراهين من نصوص الأدب الكلاسي؛ فهو يقول ما ملخصه إنه: رغم أن الفلسفة الكلاسية والخطابة والشعر، حتى في أفضل مضامينها، لا تكشف كل الحق بدقة مطلقة إلاّ أنها تعكسه كمرآة، فالحق يدرك عيانًا في الكتب المقدسة ولكنه يمكن أن يُدْرَكَ ظِلُّهُ في كتابات الوثنيين. وعليه فالذين لم يستعدوا بعد لفهم الكتب المقدسة يمكن أن تكون دراسة الأدب الكلاسي بمثابة مجموعة دروس مؤهلة لهم. فإن وجدوا في كتابات القدماء ما يمتدح الفضيلة والخير فليقرأوه وإن وجدوا خلاف ذلك فليتركوه. وجيد للإنسان أن يزدان بالحكمة الخارجية التي لو فهمها واستخدمها بطريقة صحيحة، يمكن أن تكون وسيلةً مساعدةً جيدةً لتدريب النفس البشرية على الفضيلة. ولكن لا يجب أن ينسى أن الهدف الرئيسي هو بلوغ "الحكمة المقدسة" لأن ثمار هذه الحكمة المقدسة هى التي سوف تقود إلى كل الحق. وإن القديس باسيليوس يحترم ويقدر التعاليم اللاهوتية المسيحية بوصفها "السيدة" إلاّ أنه يرى في الحكمة العلمانية والتعاليم البشرية "خادمة السيدة" حسب القول اللاتيني الشهير الذي يصف الفلسفة بأنها "الفلسفة خادمة اللاهوت": [١٥٣]«Philosophia theologiae ancilla».

في هذه "الرسالة" يجاهد القديس باسيليوس بشتى الطرق، سواءٌ المباشرة أو غير المباشرة، أن يميز بين "الحق الإلهي" وبين "الحكمة البشرية"، تلك التي بَخَسَ حَقَّهَا بعضُ المتطرفين المسيحيين الذين رفضوها رغم نفعها[١٥٤]. فالقديس باسيليوس لم يَكُنْ يَكِنُّ أي عداءٍ للفلسفة أو للشعراء أو لكُتَّاب الدراما اليونانيين بل على العكس من ذلك نجد أن في هذه "الرسالة"، يحتل كلٌ من هوميروس وهسيودوس وثيوجنيس وسولون وبيركليس والإسكندر الأكبر وأفلاطون وسقراط ويوريبيديس والأبطال الرياضيون: بوليداماس وميلون، وعازفو الموسيقى، من أمثال تيموثيوس، وكل هؤلاء مكانَ الصدارة، الذين يمثلون "الحكمة البشرية" خير تمثيل من خلال أقوالهم وتعاليمهم ومواقفهم النبيلة، التي يستطيعون بها أن يُعِدُّوا الشباب المسيحي لفهم الكتب المقدسة فهمًا أفضل. فلو كان القديس باسيليوس يَكِنُّ أي عداءٍ للأدب الكلاسي ما كان كتب هذه "الرسالة" وبما أنه كتبها ومدح فيها، سواء كثيرًا أو قليلاً الأدبَ الكلاسي، فهذا يعني أنه يقدر هذا النوع من الأدب حق تقدير.

هذا هو منطق القديس باسيليوس ومنهجه في هذه "الرسالة" التي تُعَدُّ أفضل تقدير مسيحي للأدب الكلاسي. فليس ثمةُ دارسٍ آخر للأدب الكلاسي استطاع أن يقدر هذا الأدب حق تقدير وبأمانة مطلقة ونزاهة وعقل متفتح مثل القديس باسيليوس الكبير الذي يحتل مكانًا وسطًا بين المؤيدين لفكرة "التلاقي" بين الأدبين المسيحي والوثني، وبين المعارضين لهذه الفكرة. فالقديس باسيليوس يتعامل مع الأدب الإغريقي كصديق: يصادقه ويأخذ منه ما فيه

من فضائل وإذا حدث واكتشف فيه عيوبًا فإنه لا يدينه ككل بسبب هذه العيوب.

الحواشي

[1] Migne PL 22, Epis. XXI, 13, 9.

[2] Letter 22: "To Eustochium'', *The Nicene And Post-Nicene Fathers*, ed. by Philip Schaff, 2nd Ser., vol. 6, sec. 29, p. 133; MPL. vol. 22, c. 416.

[٣] استخدم الرسول بولس كلمة "بليعال" بمعناها الشائع عند يهود عصره، حيث كانت تطلق على الشيطان أو ضد المسيح، فيقول: "أيُّ اتفاقٍ للمسيح مع بليعال ؟" (٢ كو ٦: ١٥).

[4] *Stromata* Clementis, MPG. 8, c. 1, 5, 28.

[٥] جرت العادة، منذ وقت قديم، على تسمية معلمي الكنيسة ومؤلفي الكتابات المسيحية الأولى "آباء الكنيسة". فآباء الكنيسة يقصد بهم معلمو الكنيسة The Doctors of the Church الذين ساهموا في تحديد مضمون الايمان وصياغته وشرح، حيث المقصود بالايمان ليس هو العقيدة فقط، بل هو كل التقليد الذي استلمته الكنيسة من عصر رسل السيد المسيح، وأدب هؤلاؤ الآباء المكتوب الذي أنتجوه أصبح يُعرف باسم "الأدب الآبائي". انظر: دياكون مجدي وهبة صموئيل: مقدمة في علم الآباء (باترولوجيا)، اصدار مؤسسة القديس أنطونيوس للدراسات الآبائية، القاهرة ١٩٩٣، ص. ٧، ص ٩.

[6] *Ἱστορία τῶν Ἑλλήνων: Πολιτισμός, Κοινωνία, Οἰκονομία καὶ Θεσμοὶ τοῦ Βυζαντίου*, Ἐκδόσεις Δομή, τόμ. 9, β΄ ἔκδ., Ἀθήνα 2007, σ. 88.

[7] J. Quasten, *Patrology*: *The Golden Age of Greek Patristic Literature*, Westminster, Maryland, 1992, vol. III, p. 204.

[٨] يُطلق اسم "كبادوكيا" «Καππαδοκία» على المنطقة التي تقع شرقي آسيا الصغرى، تحدها من الغرب غلاطيا وليكأونيا ومن الشمال بونطوس ومن الشرق أرمينيا ومن الجنوب كيليكيا وجبال طوروس. وكانت الطرق التجارية الرئيسية في العصور القديمة تمر بهذه المنطقة الجبلية. ولقد أصبحت كبادوكيا مملكة تعترف بسيادة روما، وعندما مات أرخيلاؤس أخر ملوك كبادوكيا عام ١٧ م.، ضمها تيبريوس قيصر إلى الإمبراطورية الرومانية، فأصبحت ولاية رومانية. وقد وصلت المسيحية إلى كبادوكيا عن طريق القادمين من طرسوس على الطرق التجارية المارة ببوابات كيليكية. ويوجه الرسول بطرس رسالته الأولى إلى "المغتربين من شتات بونطوس وغلاطيا وكبادوكيا وآسيا وبيثينيا" (١ بط ١:١) وأصبحت عاصمة الإقليم "قيصرية" أحد المراكز المسيحية الهامة. وقد ظهر فيها في القرن الرابع عدد من آباء الكنيسة المشهورين المعروفين بالآباء "الكبادوكيين"، (مثل: باسيليوس الكبير وغريغوريوس النيسي وغريغوريوس النيزينزي). وظلت كبادوكيا جزءًا من الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) إلى أن استولى عليها الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر للميلاد. وللمزيد عن كبادوكيا وآثارها والآباء المعروفين بـ "الكبادوكيين" انظر:

The Oxford Dictionary of Byzantium, ed. A. Kazhdan, Oxford University Press 1991, 3 vols, vol. 1, pp. 378–380.

[٩] يُلقب القديسون باسيليوس الكبير هذا ويوحنا ذهبي الفم وغريغوريوس اللاهوتي بـ"الكهنة الثلاثة" *Τρεῖς ἱεράρχεις* ويُحتفل بذكراهم في الكنيسة اليونانية يوم ٣٠ يناير من كل عام وهو عيد تُعطل فيه دُور العلم. وقد تحدد ذلك العيدُ في عهد الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس كومنينوس (١٠٨١–١١١٨) فأثناء أثناء حكم هذا الإمبراطور دَبَّ خلافٌ في مدينة القسطنطينية هدد سلام ووحدة الكنيسة. وكان سبب هذا النزاع هو الخلاف بين المسيحيين في مَنْ هو أعظم: أهو القديس باسيليوس الكبير، أم القديس غريغوريوس اللاهوتي (النزينزي)، أم القديس يوحنا ذهبي الفم؟ وأخذ هذا النزاع أبعادًا كبيرةً حتى انقسمت جموع المسيحيين إلى ثلاثة فرق: باسيليين (أي المؤيدين للقديس باسيليوس) وغريغوريين (أي المؤيدين للقديس غريغوريوس) ويوحانائيين (أي المؤيدين للقديس يوحنا ذهبي الفم). وقد أنهى هؤلاء

القديسون الثلاثة هذا النزاع بظهورهم للأب الورع يوحنا مافروبوس، أسقف منطقة إفْخَايْتَا، قائلين له: "إنه لم يكن بينهم يومًا ما خلافٌ أو نزاعٌ" وأوصوه بأن يسرع في إيقاف هذا النزاع الذي كاد يسبب خطرًا على الكنيسة. كان هذا هو الدافع الذي دفع القديس يوحنا مافروبوس إلى توحيد تذكار القديسين الثلاثة في عيد موحد يوم ٣٠ يناير وبهذا انتهى هذا الخلاف، انظر:

Σ. Εὐστρατιάδου, *Ἁγιολόγιον τῆς Ὀρθοδόξου Ἐκκλησίας*, Ἀθήνα 1995, σ. 452.

وتحتفل الكنيسةُ اليونانية بعيد القديس باسيليوس يوم ١ يناير أما الكنيسةُ القبطية فتحتفل بعيده يوم ٦ طوبة، انظر: سينكسار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: اليوم السادس من شهر طوبة: الجزء الأول، الناشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة، ١٩٧٨، ص. ٢٤٠

[١٠] كانت جِدّةُ القديس باسيليوس التي تدعى ماكرينا وأبوه باسيليوس وأمه إميليا وأخته الصغري ماكرينا وأخواه غريغوريوس النيسي وبطرس أسقف سبسطيا يُعدون جميعًا قديسين ويُحتفل بأعيادهم في الكنيستين الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الرومانية.

[11] Thomas A. Kopecek, The Social Class of the Cappadocian Fathers, *Church History*, vol. 42, no. 4 (1973), pp. 453-466.

[12] H. Hunger, *Βυζαντινὴ Λογοτεχνία*, Ἀθήνα, 2001, τόμ. α΄, σ. 316.

[13] Δ. Κουτσούρη, Βασίλειος Καισαρείας ὁ Μέγας, *Ἱστορικά* 217 (2004), σσ. 1-7.

[١٤] معجم التراجم البيزنطية، أ. دونالد نيكول، ترجمة وتعليق حسن حبشي، اصدار الهئية المصرية العامة للكتاب (الألف كتاب الثاني)، ٢٠٠٣، ص ١٩١.

[15] Greg. Naz. *Or*. xx. p. 359.

[16] *Historia Ecclesiastica*, ed. J. Bidez and G. C. Hansen, Sozomenus, Kirchengeschichte [Die griechischen christlichen Schriftsteller 50. Berlin: Akademie–Verlag, 1960], bok. 6, ch. 34, sec. 9, lines 3–6.

[17] *A Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century A. D., with an Account of the Principal Sects and Heresies*, Edited by Henry Wace, & William C. Piercy, Hendrickson Publishers, Christian Classics Ethereal Library, Public Domain 2000, p. 201.

[18] Timothy S. Miller, *Ἡ γέννηση τοῦ Νοσοκομείου στὴν Βυζαντινὴ Αὐτοκρατορία*, Ἀθήνα 1998, σ. 111.

[19] Θεμιστίου, *«Ὑπὲρ τοῦ λέγειν»*, ed. H. Schenkl, G. Downey and A. F. Norman, Themistii orationes quae supersunt, vol. 2. Leipzig: Teubner, 1971, p. 324, sec. c, lin. 6.

[20] Νίκος Βαρδιάμπασης, Ὁ Μέγας Βασίλειος, *Ἱστορικά* 217 (2004), σ. 5.

[21] K. Krumbacher, *Ἱστορία τῆς Βυζαντινῆς Λογοτεχνίας*, Ἀθῆναι, 1897, I, p. 635.

[٢٢] مَيامِر كلمة سريانية الأصل في صيغة الجمع ومفردها "مَيْمَر"، ومعناها مقالة أو خطبة أو قصيدة وهى الأعم، انظر في هذا كتاب "اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية" لمثلث الرحمة العلامة البطريرك إفرام الأول برصوم، الطبعة الرابعة، هولندا، ١٩٨٧، ص ٥٠٣.

[٢٣] سينكسار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: اليوم السادس من شهر طوبة: الجزء الأول، ص. ٢٤٥.

[٢٤] الباترولوجيا جرايكا: (كتابات آباء الكنيسة باليونانية) واختصارها (PG) وهى أكملُ مجموعةٍ لنصوص آباء الكنيسة، نشرها الراهب الكاثوليكي ب. ج. مين (J. P. Migne) الذي توفي عام ١٨٧٥ م. وهى تشتمل على إعادة طبع لكل النصوص التي سبق طبعها حتى وقته وذلك لكي تكون في متناول يد اللاهوتيين، ولكي يكون الوصول إلى النصوص الآبائية متاحًا. ومع ذلك فإن طبعة "مين" للآباء بها أخطاءٌ مطبعية كثيرة ولهذا السبب كان من الأفضل دائمًا الرجوع إلى الطبعات التي أخذ منها "مين" إن لم تكن هناك طبعة علمية منقحة حديثة للنصوص. ومع ذلك تظل باترولوجيا "مين" بالنسبة لكثير من كتابات آباء الكنيسة هى المصدر الوحيد الذي يمكن الرجوع إليه. والباترولوجيا جرايكا هو القسم الذي يشمل كتابات الآباء والكُتّاب الكنسيين المدونة باللغة اليونانية الأصلية وتضم كتابات حتى القرن الخامس عشر الميلادي، وكل كتابات آباء كنيسة الإسكندرية والكتابات الرهبانية المصرية موجودة في هذه المجموعة باللغة اليونانية. وعدد مجلداتها ١٦١ مجلدًا من القطع الكبير، في هذا انظر:

Ν. Β. Τωμαδάκη, *Κλεὶς τῆς Βυζαντινῆς Φιλολογίας*, Θεσσαλονίκη 1993, σσ. 92, 93.

[٢٥] عن أعمال القديس باسيليوس النسكية انظر:

The Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church, 2nd Ser. Vol. 8, ed. Philip Schaff, *Letters and selected works*, Ages Software, Albany, Oregon 1997; Saint Basil: The Letters, 4 vols., edited and translated by Roy J. Defarrari, "Loeb Classical Library", vol. IV, (Cambridge, Mass., 1926–1934); Monica Wagner, "Fathers of the Church" vol. 9 (Washington, D. C., 1950); Letters, translated by A. C. Way, "Fathers of the Church" vols. 13, 28 (Washington, D. C., 1951–1955).

وعن عظاته التفسيرية انظر:

A. C. Way, "Fathers of the Church" vol. 46 (Washington, D. C., 1963).

أما عن ما كُتِبَ عن القديس باسيليوس فانظر:

Basil of Caesarea: Christian, Humanist, Ascetic; A Sixteen–Hundredth Anniversary Symposium, 2 vols., edited by Paul Jonathan Fedwick (Toronto, 1981), Papers presented at an International Symposium held in Toronto, June 10–16, 1979.

[26] Α. Βασιλοκοπούλου-Ἰωαννίδου, *Εἰσαγωγὴ στὴ Βυζαντινὴ Λογοτεχνία*, Ἀθήνα 1984, σ. 26.

"الماجنا كارتا" هى وثيقة الحقوق التي أكره النبلاءُ الإنكليز الملكَ جون على منحها عام ١٢١٥ م. وهي تمثل ضمانًا أساسيًا للحقوق المدنية والسياسية.

[27] Θ. Δετοράκης, *Βυζαντινὴ Φιλολογία: Τὰ Πρόσωπα καὶ τὰ Κείμενα*, Ἡράκλειο Κρήτης 1995, τόμ. α΄, σ. 255.

[٢٨] يُفهم من نصائح القديس باسيليوس إلى هؤلاء الشباب أنهم، ربما، كن فتيات.

[29] Saint Basil: *Address to Young Men on reading Greek Literature*, edited and translated by Roy J. Defarrari, "Loeb Classical Library", vol. IV, p. 365.

[٣٠] ويتضح هذا خلال حديث القديس باسيليوس عن هراكليس (هرقل)، بطل الأساطير اليونانية.

[31] يقول الأستاذ ستافروس كوروسيس إن تعاليم رسل السيد المسيح عن "الحق"، الذي يفوق حدود الطبيعة البشرية، جعل هذه التعاليم تتناقض مع تعاليم فلسفة الأمم الوثنية، ولأن المسيحيين كانوا يعتبرونها فلسفة "خارجة عن حظيرة تعاليم السيد المسيح" فقد أطلقوا عليها اسم "التعليم θύραθεν παιδεία"

الخارجي"، أو θύραθεν σοφία "الفلسفة الخارجية"، في حين أطلقوا على "الفلسفة المسيحية" أسماء أخرى مثل «παρ' ἡμῖν σοφία» "الفلسفة التي بين ظهرانينا" أو «σοφία ἡμετέρα» "فلسفتنا"، وكانوا يقصدون بها "التعاليم اللاهوتية". وقد استخدم القديس باسيليوس تعبير θύραθεν σοφία في هذه "الرسالة" في الفقرة ٣ السطر ٩.

Σ. Ἰω. Κουρούση, *Κεφάλαια Βυζαντινῆς Γραμματλογίας*, Β΄ ἐποσκόπησις τῆς Βυζαντινῆς Παιδείας, Μέρος α΄, Ἡ Ἑλληνικὴ Παιδεία μέχρι τοῦ δ΄ μ. Χ. αἰῶνα, σ. 8.

[32] E. B. Castle, The Christian Fathers and the Moral Training of the Young, *British Journal of Educational Studies*, vol. 3, no. 1. (1954), pp. 24-32.

[33] C. Mango: *Βυζάντιο: Ἡ Αὐτοκρατορία τῆς Νέας Ῥώμης*, σ. 160.

[34] J. T. Forestell, *The Book of Proverbs with a Commentary*, Paulist Press, 1960, p. 7.

[٣٥] تُطلق "كالديا" Χαλδαία على المنطقة الواقعة في جنوبي شرقي ما بين النهرين، عند الطرف الشمالي للخليج الفارسي، ومنها جاء الاسم "الكلدانيون" Χαλδαῖοι، وكان هذا الاسم يُطلق على جماعة من القبائل السامية التي كانت تعيش في "بلاد البحر" المجاورة للطرف الشمالي للخليج الفارسي. وبعد أن ابتلع الأشوريون الإمبراطورية البابلية القديمة، استطاع الكلدانيون بقيادة نبوخذ نصر، الإمساك بزمام السلطة وبناء "الإمبراطورية البابلية الجديدة" التي سادت بلاد الشرق الأوسط على مدى نحو قرن من الزمان. وترتبط "كالديا" بإبراهيم خليل الله، الذي خرج أصلاً من "أور الكلدانيين" (تك ١١ :٢٨، أع ٧ :٤). وربما سُميت هكذا تمييزًا لها عن "أورا" الواقعة شمالي بلاد بين النهرين. وبعد أن اختفت الإمبراطورية الكلدانية بزمن طويل، ظل اسم الكلدانيين طوال العصرين اليوناني والروماني مرادفًا للسحرة والعرافين والمنجمين. كما نرى ذلك في سفر دانيال حيث يجمع بين الكلدانيين والمجوس والسحرة والعرافين والمنجمين (دانيال ٢ : ٢ و١٠ ،٤ : ٧ و٥ : ٧). وقد اشتهر البابليون طويلاً بتقدمهم في العلوم الفلكية واعتمادهم على النجوم للتنبؤ بالمستقبل. وهناك نَصٌّ بابلي يرجع إلي حواي عام ٧٠٠ ق. م. يصف دائرة البروج ويذكر أسماء خمس عشرة مجموعة نجمية، وما زال الفلكيون إلي اليوم يستخدمون هذه الأسماء، مثل الثور والجوزاء والعقرب. وقد أمر نبوخذ نصر أن يتعلم خيرة شباب يهوذا الذين سباهم، بما فيهم دانيال، "كتابة الكلدانيين ولسانهم" (دانيال ١ :٤)، ولا شك في أن العلوم الفلكية كانت بعض ما يتعلمونه، انظر: دائرة المعارف الكتابية، ٦ أجزاء،اصدار دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٦، ج ٢، ص. ٣٤٤.

[36] *Respublica*, ed. J. Burnet, *Platonis Opera*, vol. 4, Oxford: Clarendon Press, 1902, 376e.

[37] Ed. F. C. Babbitt, *Plutarch's Moralia*, vol. 1, Harvard University Press, 1927.

[38] P. Lemerle, *Ὁ Πρῶτος Βυζαντινὸς Οὐμανισμός*, 3η ἔκδ., Ἀθήνα 2001, σ. 47.

[39] Θ. Δετοράκης, *Βυζαντινὴ Φιλολογία: Τὰ Πρόσωπα καὶ τὰ Κείμενα*, τόμ. α΄, σ. 255.

[40] P. Lemerle, *Ὁ Πρῶτος Βυζαντινὸς Οὐμανισμός*, p. 47.

[41] Θ. Δετοράκης, Βυζαντινὴ Φιλολογία: Τὰ Πρόσωπα καὶ τὰ Κείμενα, τόμ. α΄, σ. 255.

[٤٢] يُفهم من كلام القديس باسيليوس هنا أنه كتب هذا العمل في شيخوخته وأن العمل يلخص أفكاره بعد حياة حافلة بالخبرات.

[43] Saint Basile, *Aux jeunes gens sur la manière de tirer profit des lettres Helléniques*, ed. F. Boulenger, Paris: Les Belles Lettres, 1935, 1, 1–8.

[44] *Opera et Dies*, ed. F. Solmsen, Oxford: Clarendon Press 1970, 293–297.

[٤٥] قارن: "بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه" (١ كو ٢: ٩).

[46] *Respublica*, ed. J. Burnet, vol. 4, p. 614, sec. a, 4–6.

[٤٧] تشبيهات القديس باسيليوس هنا توضح سبب لعن السيد المسيح لشجرة التين غير المثمرة. فالشجرة تمثل النفس البشرية، والثمر هو معرفة الحق (الله)، والأوراق هى دليل النضج والإثمار. أما شجرة التين التي كانت لا تحمل إلاّ ورقًا فقط فهى مثل المُرائِي الذي توحى أعماله بأنه يعرف (الحق) الله ولكن معرفته ليست ثابتة فيه.

[48] Ν. Β. Τατάκη, *Ἡ συμβολὴ τῆς Καππαδοκίας στὴ Χριστιανικὴ σκέψη*, Ἀθήνα 1979, σ. 92

[٤٩] ليس هناك إشارة إلى تثقف موسى النبي بحكمة المصريين في العهد القديم، بل نجد الإشارة إلى ذلك في حديث القديس إسطفانوس إلى اليهود في سفر أعمال الرسل، حيث يقول "وتهذب موسى بكل حكمة المصريين" (أع ٧: ٢٢).

[٥٠] ورد في سفر دانيال ما يلي: "وأمر الملك أشفنز رئيس خصيانه بأن يحضر من بني اسرائيل ومن نسل الملك ومن الشرفاء فتيانًا لاعيب فيهم .....حاذقين في كل حكمة وعارفين معرفة وذوي فهم بالعلم والذين فيهم قوة على الوقوف في قصر الملك فيعلموهم كتابة الكلدانيين ولسانهم" (دا ١: ٤،٥).

[51] *Respublica*, ed. J. Burnet, vol. 4, p. 387B, 1–6.

[٥٢] السيرينيات (Σιρῆνες)، هن مخلوقات أسطورية تُعرف باسم "جنيات البحر" أو "شياطين الموت"، وكن يصورن في هيئة مخلوقات لها رؤوس نساء وأجساد طيور، وقد ورد ذكرهُا في ملاحم هوميروس. وكانت السيرينيات تُعرفن بالشدو الساحر الذي يغوي ويورد الملاحين موارد الهلاك. وطبقًا لأوديسيا هوميروس أمر أوديسيوس رفاقه بربطه إلى صاري السفينة وبسد آذانهم بالشمع وذلك عندما كانت سفينتهم على وشك العبور بمحازاة جزيرة السيرينيات، انظر:

Cf. Homeri *Odyssea*, ed. P. von der Mühll, Basel: Helbing & Lichtenhahn 1962, 12, 38ff.

[٥٣] أوديسيوس هو ملك إيثاكي وابن لائيرتيس وزوج بينيلوبي، وأحد أعظم أبطال الحروب الطروادية وبطل ملحمة هوميروس، الشاعر الإغريقي العظيم، الشهيرة التي تحمل اسمه "الأوديسيا".

[٥٤] قارن "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" (أمثال ٤ : ٢٣).

[55] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 4, 12–28.

[56] Idem.

[٥٧] قارن "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا" (مت ٥:٤٠).

[58] قارن "فإن كان لكم محاكم في أمور هذه الحياة فأجلسوا المحتقرين في الكنيسة قضاة، لتخجيلكم أقول أهكذا ليس بينكم حكيم ولا واحد يقدر أن يقضي بين أخوته، لكن الأخ يحاكم الأخ وذلك عند غير المؤمنين"(١كو ٦،٧).

[59] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 4, 42–46.

هذا المثل عن النحل كان معروفًا ومشهورًا عند كثير من الكُتّاب القدامى، فقد أشار إليه الخطيب الأثيني الشهير إيسوقراطيس (٤٣٦– ٣٣٨ ق. م.)، انظر:

Ad Demonicum (orat. 1), ed. G. Mathieu and É. Brémond, Isocrate. Discours, vol. 1. Paris: Les Belles Lettres, 1929, 52, 1–5.

[٦٠] يذكر كليمينس السكندري عن الإغريق قولهم إن اللهجات الإغريقية هى خمس: الأتيكية، الإيونية، الأيولية، الدورية، والخامسة هى اللهجة العامة، انظر:

Clemens Alexandrinus, *Stromata*, ed. O. Stählin, L. Früchtel and U. Treu, vols. 2, 3rd ed. and 3, 2nd ed. [Die griechischen christlichen Schriftsteller 52 (15), 17. Berlin: Akademie–Verlag, 2 : 1960; 3 : 1970], Book 1, Ch. 21, Sec. 142, 1–2.

[61] *Scholia in Apollonii Rhodii Argonautica* (scholia vetera), ed. K. Wendel, Berlin: Weidmann, 1935, p. 230, 1, 2.

وقد ذَكَرَ هذا المثل أيضا كلٌ من القديس غريغوريوس النزينزي في رسالته الثامنة والثلاثين، والقديس يوحنا ذهبي الفم في عظته الخامسة والثلاثين على تفسير رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس.

[٦٢] يوجد في هذا الكلام تشابه مع ما ورد عن فائدة العادات (التعود) في محاورتي أفلاطون "القوانين"، الكتاب السابع و"الجمهورية"، الكتاب الثاني.

[63] *Opera et Dies*, 287–291.

[٦٤] يقول ديون خريسوستوموس (القرن الأول الميلادي) عن هوميروس الآتي: "إنه لعملٌ شاقٌ أن يحاول أحدٌ أن يجمع كل ما قاله هوميروس عن الفضيلة والرذيلة"، انظر:

Orationes, ed. J. von Arnim, Dionis Prusaensis quem vocant Chrysostomum quae exstant omnia, vols. 1–2, 2nd edn. Berlin: Weidmann, 1:1893; 2:1896, Orat. 53, Sec. 11, Lines 2, 3.

[65] Σ. Ἰω. Κουρούση, *Κεφάλαια Βυζαντινῆς Γραμματλογίας*, σσ. 13, 16.

[66] Homeri *Odyssea*, ed. P. von der Mühll, 6, 7.

[٦٧] يُلاحظ هنا أن المثالين الذين ذكرهما القديس باسيليوس من أشعار هوميروس كان بطلهما أوديسيوس؛ فهو أشار بعاليه إلى أوديسيوس والسيرينيات وهنا يذكر مرة أخرى أوديسيوس وناوسيكا ابنة ملك الجزيرة.

[٦٨] تشبيه الماديات بالنرد يذكرنا بما قاله أفلاطون عن متاعب الحياة أنها أشبه بـ "رمية نرد"، انظر:

Respublica, ed. J. Burnet, vol. 4, p. 604, c, lins. 5-7.

[٦٩] سولون هو مشرع أثينا الشهير (٦٤٠–٥٦٠ ق. م.) وسياسي وشاعر ويُعد أحد الحكماء السبعة في بلاد الإغريق القديمة. عُرف بنزعته إلى الإصلاح وقد أشار إليه القديس باسيليوس مرتين في هذه "الرسالة".

[٧٠] أشار إلى هذا القول بلوتارخوس في سيرة سولون:

Plutarchi *Vitae Parallelae*, Solon, ed. K. Ziegler, vol. 1.1, 4th ed. Leipzig: Teubner, 1969, III, 3, 1–4

[٧١] ثيوجنيس الميجاري هو أحد شعراء الشعر الغنائي، عاش في القرن السادس ق. م. وقد اقتبس منه القديس باسيليوس اقتطافين في هذه "الرسالة".

[72] Theognis, *Elegiae*, ed. D. Young (post E. Diehl), 2nd ed. Leipzig: Teubner, 1971, I, 157, 158.

[٧٣] سوفسطائي مشهور عاش خلال في القرن الخامس ق. م. وكان معاصرًا لسقراط. معروفٌ. وهو معروف بأسطورته "عن الفضيلة والرذيلة". وقد ذكره بكل احترام كلٌ من كسينوفون وأفلاطون وذلك رغم انتقاد كثير من السوفسطائيين له.

[٧٤] بطل الأساطير الإغريقية الشهير، رمز القوة الجسمانية وهو ابن الإله زيوس وألكميني.

[٧٥] هذه الواقعة أوردها إكسينوفون، المؤرخ الإغريقي الشهير، في عمله "الذكريات" "Ἀπομνημονευμάτων Α΄"، انظر :

Memorabilia, ed. E. C. Marchant, Xenophontis opera omnia, vol. 2, 2nd edn. Oxford: Clarendon Press, 1921, II, 1, 20, 17.

وطبقًا لما ورد في معجم "سودا" الشهير، فإن هذه الأسطورة وردت في عمل لبروديكوس بعنوان "الساعات"، انظر :

Suidae Lexicon, ed. A. Adler, 4 vols. [Lexicographi Graeci 1.1–1.4. Leipzig: Teubner, 1.1:1928; 1.2:1931; 1.3:1933; 1.4:1935, Alphabetic Letter Omega, Entry 167, 1–4.

[76] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 5, 55–77.

وردت هذه الرواية عند كتاب قدامي، إغريق ورومان، مثل إكسينوفون في عمله "الذكريات" "Ἀπομνημονευμάτων Α΄" II, 1, 22 وعند شيشرون في عمله "عن الواجبات" "*De Officiis*" I. 32.

[٧٧] ورد هذا القول في "أوديسيا" هوميروس على فم العراف الطيبي تريسياس وهو على النحو التالي كما ورد عند هوميروس:

«*ο□ϑ πεπνύσθαι. το□ δὲ σκια□ ἀσσουσιν*», Homeri Odyssea, ed. P. von der Mühll, X, 495.

[78] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 6, 8–18.

[79] Euripidis, Hippolytus, ed. J. Diggle, Vol. 1. Oxford, Clarendon Press, 1984, 612.

[80] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 7, 1–6.

[81] Ibid. 7, 5–10.

ورد ذكر هذه الحادثة عند بلوتارخوس في سيرة بيركليس، انظر:

Plutarchi *Vitae Parallelae*, Pericles, ed. K. Ziegler, Vol. 1.2, 3rd ed. Leipzig: Teubner, 1964, v, 2.

[٨٢] إقليديس الميجاري الفيلسوف (٤٣٥– ٣٦٩ ق. م) هو أحد تلاميذ سقراط ومؤسس المدرسة الميجارية في الفلسفة.

[83] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 7, 11–16.

[٨٤] هذا القول ورد في مسرحية منسوبة إلى يوريبيديس بعنوان "ريسوس"، انظر:

Euripidis Fabulae, *Rhesus*, ed. J. Diggle, vol. 3. Oxford: Clarendon Press, 1994, 84.

[٨٥] إنّ كتابة سقراط سطرًا على جبهته قائلاً: "هذا من عمل فلان" مستعارٌ من لغة النحاتين والمثالين وصانعي الآنية الفخارية الذين كان من عادتهم أن يترك كلُ واحد توقيعًا على مصنوعاته. وطبقًا لرواية الرحالة الإغريقي باوسانياس قام النحات الشهير "فيدياس" بعمل تمثال للإله زيوس وكتب أسفل التمثال، عند قدمي زيوس الكلمات القليلة التالية التي تحمل شاهدًا على صانع التمثال وموطنه: "صنعني فيدياس ابن خارميديس الأثيني".

«*Φειδ□αφ Χαρμ□δου υ□Πφ ǝAθηνα□®φ μǝ □πο□ησε*», Pausaniae Graeciae Descriptio, ed. F. Spiro, 3 vols. Leipzig: Teubner, 1903, Book 5, Ch. 19, Sec. 2, 4–7.

[٨٦] أشار إلى هذا الموقف كاتبُ السير الإغريقي بلوتارخوس في عمله المعروف باسم: «Περὶ παίδων ἀγωγῆς: "عن تربية الأولاد":

Plutarch's Moralia, *De Liberis Educandis* [Sp.] (1a–14c), ed. F. C. Babbitt, vol. 1. Cambridge, Mass, Harvard University Press, 1927, p. 10 c, 3–11.

[87] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 7, 23–30.

[٨٨] عن تعفف الإسكندر الذي أظهره تجاه زوجة الملك داريوس الجميلة، يسجل بلوتارخوس ذلك في جزء من رسالة أرسلها الإسكندر نفسه إلى صديقه القائد بارمينيون يقول فيها: "لا يستطيع أحد أن يقول إنني رأيت أو حتى رغبت في رؤية زوجة داريوس، بل إنني لم أسمح حتى بأن يتكلم أحدٌ عنها في حضرتي"، انظر:

Plutarchi Vitae Parallelae, Alexander, ed. K. Ziegler, Vol. 2. 2, 2nd ed. Leipzig : Teubner 1968, Ch. 22, Sec. 5, 2–4.

[٨٩] فيثاغورس من ساموس (٥٨٠–٥٠٠ ق. م.) رياضي وفيلسوف إغريقي.

[٩٠] التالنت τάλαντον: وحدة وزن أو نقد قديمة. حيث كان التالنت الواحد من الفضة يساوي ستة آلآف دراخمة يونانية. أي أن كلينيوس المذكور قام بدفع ثمانية عشرة ألف دراخمة كغرامة مُفضلاً الغرامة على القسم. انظر:

Liddell and Scott's Greek–English Lexicon, Oxford 1980, p. 689.

[٩١] قارن أيضًا: "سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسي الله. ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير"، (مت ٥: ٣٤–٣٧).

[٩٢] البنكراتيوم: مباراة رياضية إغريقية تشتمل على الملاكمة والمصارعة معًا.

[93] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 8, 16–22.

[٩٤] بطل رياضي شهير، فاز في لعبة البانكراتيون المشار إليها وذلك مسابقة الألعاب الأوليمبية رقم ٩٣ التي أقيمت عام ٤٠٨ ق. م.

[95] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 8, 22–24.

[٩٦] بطل رياضي شهير في الألعاب الأوليمبية. وطبقًا لرواية الرحالة الإغريقي باوسانياس كان ميلون هذا يقف على قاعدة مدهونة بمادة زيتية، محاولاً أن يُبعدَ عنه بعضَ الذين كانوا يحاولون أن يخرجوه منها، انظر:

Graeciae Descriptio, ed. F. Spiro, Pausaniae Graeciae descriptio, 3 vols. Leipzig: Teubner, 1903, VI, 14, 5, 1–5.

[97] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 8, 25–27.

[٩٨] موسيقيان شهيران من فريجيا في أسيا الصغرى.

[99] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 8, 27–32.

[١٠٠] عازف ناي من مدينة طيبة الإغريقية، كان معاصرًا للإسكندر الأكبر.

[١٠١] نغم موسيقي مشهور يُنسب إلى فريجيا.

[١٠٢] وهناك مثل إنجليزي قديم يقول:"No train no gain" أو "حيث لا تدريب لا فوز".

[١٠٣] الاستاديون στάδιον كلمة يونانية تعني وحدة من وحدات قياس الطول وتعني أيضًا ملعبًا مدرجًا للألعاب الرياضية.

[104] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 8, 44–58.

[105] Ibid. 8, 56–57.

المثل في أصله يقول "إن الانسان يرقد على كلا أذنيه (جنبيه)":

эΕπэ ′μφ®τερα καθενδει τf □τα

Appendix Proverbiorum, ed. E. L. von Leutsch and F. G. Schneidewin, Corpus Paroemiographorum Graecorum, Vol. I, Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1839, II, 78.

ولعل القديس باسيليوس يقصد بهذا الكلام أن الإنسان في أبسط وأسهل أمور حياته، وهو النوم، فإنه ينام على الجانبين فكيف في أمور حياته اليومية الشاقة يستخدم يدًا واحدةً فقط؟ وتعبير اليد الواحدة ربما يشير هنا إلى الكسل والتراخي في مواجهة الفرص.

[١٠٦] آخر ملوك الأشوريين وكان يشتهر بحياة الترف والكسل. يقال إنه بعد موته أقيم له تمثالٌ في مدينة تدعى أنخيالي يصوره وهو يجلس وهو يطقطق أصابعه دليل الترف والراحة وأسفل التمثال مكتوب "كُل واشرب وتمتع. فلا شئ أفضل من هذا"، انظر:

Marvin R. Vincent, *Word Studies in the New Testament*, vol. 3, Albany, Oregon 1996, p. 316.

[١٠٧] مارجيتيس هو بطل إحدى الروايات الكوميدية التي تُنسب إلى هوميروس. وهو شخصٌ يوصف بأنه كسولٌ وغيرُ متعلم فضلاً عن غبائه وحماقته، حتى أنه، كما يقول عنه فوتيوس في معجمه، لم يكن يستطيع أن يعدَ حتى إلى خمسة، انظر:

Photii Lexicon, ed. R. Porson, Pts. 1–2. Cambridge: Cambridge University Press, 1822: 1:10–367; 2:367–659, Alphabetic Letter Mu, p. 247, 5, 6.

ويقارن أرسطو في كتابه "فن الشعر" بين شهرة الإلياذة والأوديسيا في مجال التراجيديا وبين شهرة مارجيتيس في الكوميديا، انظر:

Poetica, ed. R. Kassel, Aristotelis De Arte Poetica Liber, Oxford 1965, p. 1448b, 38.

[108] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 8, 58–63.

[١٠٩] بيتاكوس سياسي وقائد عسكري إغريقي من ميتيليني وأحد الحكماء السبعة في بلاد الإغريق القديمة (٦٥٠–٥٦٩ ق. م.)، استطاع أن يخلص وطنه من حكم الطغاه وتولى هو الحكم لمدة عشر سنوات. وقول بيتاكوس هذا ورد عند أفلاطون في محاورة "بروتاجوراس"، انظر:

Gorgias, ed. J. Burnet, Platonis Opera, vol. 3. Oxford: Clarendon Press 1903, 340 c.

[١١٠] فكرة أن الجسد يُعد سجنًا للنفس مأخوذة من فلسفة أفلاطون، انظر محاورة فايدون:

Phaedo, ed. J. Burnet, Platonis Opera, vol. 1. Oxford: Clarendon Press, 1900, 62b, 67ad, 82d.

[١١١] هذا المثل ورد عند أفلاطون في محاورة جورجياس:

Gorgias, ed. J. Burnet, Platonis Opera, vol. 3, 493b, 1, 2.

وهو يعود في أصله إلى بنات داناؤس اللواتي بسبب قتلهن لأزواجهن حكمت عليهن الآلهة أن يملأن ماء بمناخل يجلبنه من عين ماء حتى أنهن أصبح يُضرب بهن المثل في العناء الذي لا نهاية له.

[١١٢] ديوجينيس الكلبي (٤١٢–٣٢٣ ق. م.) فيلسوف يوناني ينتمي إلى الفلسفة الكلبية الداعية إلى التقشف والتي كانت تؤمن بأن الفضيلة هى الخير الأوحد، وبأن جوهرها هو ضبط النفس. كان ديوجينيس من دعاة فلسفة السعادة التي تتمثل في التخلص من كل احتياج والوصول إلى حد "الخلو من الهموم"، وازدراء كل ثروة أو مجد، حتى أن الإسكندر الأكبر أعلن ذات مرة أنه لو لم يكن الإسكندر لتمنى أن يكون ديوجينيس.

[113] تقابل ذات مرة ديوجينيس مع شاب أنيق، فقال له ديوجينيس: "إن كان كلُ هذا التجمل من أجل أن يُعجبَ بك رجلٌ فأنت بائسٌ وإن كان من أجل إمرأة فأنت ظالمٌ"، انظر:

Vitae Philosophorum, ed. H. S. Long, Diogenis Laertii vitae philosophorum, 2 vols. Oxford: Clarendon Press, 1964, VI, 54, 1.

[١١٤] يُنسب هذا القول لأفلاطون وقد ورد في محاورة ألكيبياديس:

Alcibiades I [Sp.], ed. J. Burnet, Platonis Opera, Vol. 2, Oxford: Clarendon Press 1901, 129e, 5–10.

[١١٥] يشير ديوجينيس لائيرتوس في عمله "سير الفلاسفة" إلى أن هذا القول يُنْسَبُ إلى الخطيب الأثيني والسوفسطائي أنتيستينيس (٤٥٥-٣٦٠ ق. م.) وأنه ورد في عمله الذي يحمل عنوان "تعاليم فيمونويس":

Τοντου □στ□ τ∏Γν⌊θι σαυτ®ν,

©περ ∂Αντισθ□νηφ □ν τα□φ Διαδοχα□φ Φημον®ηφ ε῏ να□ φησιν.

Vitae philosophorum, ed. H. S. Long, Diogenis Laertii vitae philosophorum, 2 vols. Oxford: Clarendon Press, 1964, bk. 1, sec. 40, lins. 1, 2.

[١١٦] نجد هذه الفكرة عن "تطهير النفس" عند أفلاطون في محاورة "فيدون"، انظر:

Phaedo, ed. J. Burnet, Platonis opera, vol. 1. Oxford: Clarendon Press, 1900, 82 b.

[١١٧] هو شاؤل بن قيس أول ملوك بني إسرائيل، ويقول عنه الكتاب: "وفارق روحُ الرب شاول وبغته روح ردئ من قبل الرب. فجاء له عبيده بمن يضرب أمامه بالعود فتطيب نفسه"، انظر (١صم ١٦: ١٤).

[١١٨] هذه الرواية التي تدور حول تأثير الموسيقى الدورية في هؤلاء السكارى وردت عند جالينوس:

De Placitis Hippocratis et Platonis, ed. P. De Lacy, Galen: On the doctrines of Hippocrates and Plato [Corpus Medicorum Graecorum, vol. 5.4.1.2 pts. 1–2. Berlin: Akademie–Verlag, 1978], IV, 6, 21, 1–5.

[١١٩] الكوريبانتيس هم كهنة الربة كيبيلي Κυβέλη في فريجيا التي انتشرت عبادتها في العالم الإغريقي–الروماني منذ القرن الثالث ق. م.، وكان كهنتها من فرط ولعهم بها يخرجون إلى غابات فريجيا في مواكب غناء صاخبة وينخرطون في الرقص المتهور والعربدة.

[١٢٠] هن رفيقات باخوس (ديونيسوس، إله الخمر عند الإغريق) في رحلاته إلى الشرق وكن دائمًا سكارى ومعربدات. وليوريبيدس مسرحية تحمل الاسم نفسه: "عابدات باخوس".

[١٢١] قارن قول بولس الرسول: "الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذين يفتكرون في الأرضيات" (في ٣ : ١٩).

[122] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 61–64.

[١٢٣] القول لأفلاطون من محاورة "الجمهورية":

Respublica, ed. J. Burnet, vol. 4, 498b6.

[١٢٤] فكرة النفس كقائد مركبة سباق ἡνίοχος τῶν ἵππων من أشهر نظريات أفلاطون، انظر محاورة فايدروس:

Phaedrus, ed. J. Burnet, Platonis Opera, vol. 2. Oxford: Clarendon Press, 1901, 254a1.

[125] Saint Basile: Aux jeunes gens, ed. F. Boulenger, 9, 79–80.

[١٢٦] هذا القول يُنسب لفيثاغورس وقد ورد في:

Gnomologium Vaticanum, ed. L. Sternbach, 743 [Texte und Kommentare 2, repr. Berlin: De Gruyter, 1963)], 1–3.

[١٢٧] كانت أكاديمية أفلاطون (ق. ٤ ق. م.) عبارة عن بستان بالقرب من أثينا سُمِّي على اسم البطل "أكاديموس"، وكانت تحتوي على جيمنازيون عام أي مكان لإقامة الألعاب الرياضية. وفي هذا البستان قام أفلاطون بالتدريس لتلاميذه، ولذا عُرفت مدرسته الفلسفية باسم "الأكاديمية". أما القول بأن أكاديمية

أفلاطون قد أُقيمت في منطقة غير صحية فهو قول مشكوك فيه. في هذا الصدد يقول كلوديوس إيليانوس (من كتاب القرن الثالث الميلادي): "إن أكاديمية أفلاطون كانت في مكان غير صحي (مُمْرِض)":

Ὁ Πλάτων, νοσερο῀ χωρ□ου λεγομ□νου εἶναι τῷ ἘΑκαδημε□αφ

Varia Historia, ed. R. Hercher, Claudii Aeliani De Natura Animalium Libri Xvii, Varia Historia, Epistolae, Fragmenta, vol. 2. Leipzig: Teubner, 1866, IX, 10, 1–2.

[١٢٨] القول يُنسب لهيبوقراطيس الطبيب الإغريقي الشهير، وقد ورد في أقواله المأثورة Ἀφορισμοί:

Aphorismi, ed. É. Littré, Oeuvres complètes d'Hippocrate, vol. 4. Paris: Baillière, 1844, 1, 3, 1, 2.

[١٢٩] يشير القديس باسيليوس هنا إلى ما رواه هيرودوت في "توريخه" عن تلك الحيوانات الخرافية التي نصفها نسر ونصفها الآخر أسد ويطلق عليها هيرودوت "*τοῖ῀ χρυσοφύλακαφ γρ῀παφ*" أي "الوحوش حراس الذهب"، انظر:

Historiae, ed. Ph.–E. Legrand, 9 Vols. Paris: Les Belles Lettres, 1932–1954, IV, 27.

[١٣٠] باكتولوس اسم نهر في منطقة ليديا شهير بقطع الذهب التي توجد مطمورة في رماله.

[١٣١] إلى "النمل حامل الذهب" يشير هيرودوت في "توريخه" وهو نمل في بلاد الهند وبلاد فارس حجمُه أصغر من الكلب وأكبر من الثعلب. هذا النمل يقوم بحمل رمال مليئة بالذهب، انظر هيرودوت Historiae, III, 102.

[132] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 94–106.

[133] Ibid. 9, 108.

[١٣٤] القول المشار إليه من "شذرات" سولون، انظر:

Fragmenta, ed. M.L. West, Iambi et Elegi Graeci, vol. 2. Oxford: Clarendon Press, 1972, Fr. 13, 71.

[135] AG, 10, 113.

[١٣٦] وردت هذه الرواية عن ديوجينيس عند ديون خريسوستوموس، انظر:

Orationes, ed. J. von Arnim, Dionis Prusaensis quem vocant Chrysostomum quae exstant omnia, vols. 1–2, 2nd ed. Berlin: Weidmann, 1:1893; 2:1896, Oratio 6.

[١٣٧] وردت هذه الرواية عن سقراط والرجل الغني عند ديو خريسوستوموس، انظر:.*Orationes*, III, 1

[138] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 123–131.

[139] Ibid. 9, 132–135.

كان أرخيلوخوس شاعرَ هجاءٍ مشهورًا عاش إبان القرن السابع ق. م. ويقال إن ثعلب أرخيلوخوس هذا قد عقد اتفاقًا مع أحد النسور ولكن الأخير نقض الإتفاق وقتل ابن الثعلب. ولكي ينتقمَ الثعلبُ لموت ابنه أخذ شعلة نار وأحرق بها عُش النسر. وقد وردت هذه الرواية عن ثعلب أرخيلوخوس في محاورة "الجمهورية" لأفلاطون. انظر: .*Respublica*, 356 c 5–6.

[140] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 135–140.

[١٤١] ساحر من مصر ورد ذكره عند هوميروس في الأوديسيا 383 ,δ وقد أشار إليه أفلاطون في محاورة "يوثيديموس" c 288 واصفًا إياه بلقب "بروتيوس السوفسطائي المصري".

[142] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 9, 141–149.

[١٤٣] القول للشاعر الإغريقي هسيودوس من قصيدة "الأعمال والأيام"، بيت رقم ٣٥٩، وهو هكذا:

«*Τ῎Π γ῎ρ κα□ σμικρ῎Πν □π□ σμικρ῏ κατατ□θεσθαι*».

[144] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 10, 4–9.

[١٤٥] ورد هذا القول عند ديوجينيس لائيرتوس في عمله "سير الفلاسفة" انظر:

Vitae Philosophorum, ed. H.S. Long, Diogenis Laertii Vitae Philosophorum, 2 vols. Oxford: Clarendon Press, 196, I, 88, 3,4.

[١٤٦] أشار القديس باسيليوس في موضع سابق إلى أن الفضيلة تستمر مع الإنسان حتى في الدهر الآتي.

[١٤٧] تيثونوس هذا كان يُضرب به المثلُ في العجز والضعف بسبب الشيخوخة، فقد منحه الإله زيوس حياة دائمة. وقد أشار إليه الشاعر ميمنرموس الذي عاش إبان القرن السابع الميلادي.

Fragmenta, ed. M.L. West, Iambi et elegi Graeci, vol. 2. Oxford: Clarendon Press, 1972, Frag. 4.

[١٤٨] كان ملك تارتيسوس (ترشيش) في إسبانيا، وقد عاش، حسب رواية هيرودوت، ١٢٠ عامًا، انظر في ذلك:

Historiae Herodoti, I,163.

[149] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 10, 14–22.

[150] Leutsch and F. G. Schneidewin, *Corpus Paroemiographorum Graecorum*, vol. I, 146.

[١٥١] ورد هذا المثل عند بلوتارخوس، انظر:

De Exilio (599a–607f), ed. W. Sieveking, Plutarchi Moralia, vol. 3. Leipzig 1929, P. 602, B, 12.

[152] Saint Basile: *Aux jeunes gens*, ed. F. Boulenger, 10, 29–32.

[153] A. Henrichs, Philosophy, the Handmaiden of Theology, *Greek, Roman and Byzantine Studies* 9, (1968), pp. 437–450.

[154] Στυλιανός Παπαδόπουλος, *Ἡ συμβολὴ τοῦ Μεγάλου Βασιλείου στὴ θεολογικὴ σκέψη*, *Ἱστορικά* 217 (2004), σσ. 29-41.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأجنبية:

- *Ad Demonicum* (orat. 1), ed. G. Mathieu and É. Brémond, Isocrate. Discours, vol. 1. Paris: Les Belles Lettres, 1929.
- Aeschyli Tragoediae, *Septem contra Thebas*, ed. G. Murray, 2nd ed. Oxford: Clarendon Press, 1955.
- *Alcibiades I* [Sp.], ed. J. Burnet, Platonis Opera, Vol. 2, Oxford: Clarendon Press 1901.
- *Aphorismi*, ed. É. Littré, Oeuvres complètes d'Hippocrate, vol. 4. Paris: Baillière, 1844.
- *Appendix Proverbiorum*, ed. E. L. von Leutsch and F. G. Schneidewin, Corpus Paroemiographorum Graecorum, Vol. I, Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1839.
- Clemens Alexandrinus, *Stromata*, ed. O. Stählin, L. Früchtel and U. Treu, vols. 2, 3rd ed. and 3, 2nd ed. [Die griechischen christlichen Schriftsteller 52 (15), 17. Berlin: Akademie-Verlag, 2: 1960; 3: 1970].
- *De Exilio* (599a–607f), ed. W. Sieveking, Plutarchi Moralia, vol. 3. Leipzig 1929.
- *De Placitis Hippocratis et Platonis*, ed. P. De Lacy, Galen: On the doctrines of Hippocrates and Plato [Corpus Medicorum Graecorum, vol. 5.4.1.2 pts. 1–2. Berlin: Akademie–Verlag, 1978].
- Euripidis Fabulae, *Rhesus*, ed. J. Diggle, vol. 3. Oxford: Clarendon Press, 1994, 84.
- Euripidis, *Hippolytus*, ed. J. Diggle, Vol. 1. Oxford, Clarendon Press, 1984.
- *Fragmenta*, ed. M.L. West, Iambi et Elegi Graeci, vol. 2. Oxford: Clarendon Press, 1972.

- *Fragmenta*, ed. M.L. West, Iambi et elegi Graeci, vol. 2. Oxford: Clarendon Press, 1972.
- *Gnomologium Vaticanum*, ed. L. Sternbach, 743 [Texte und Kommentare 2, repr. Berlin: De Gruyter, 1963)].
- *Gorgias*, ed. J. Burnet, Platonis Opera, vol. 3. Oxford: Clarendon Press 1903.
- *Graeciae Descriptio*, ed. F. Spiro, Pausaniae Graeciae descriptio, 3 vols. Leipzig: Teubner, 1903.
- *Historia Ecclesiastica*, ed. J. Bidez and G. C. Hansen, Sozomenus, Kirchengeschichte [Die griechischen christlichen Schriftsteller 50. Berlin: Akademie–Verlag, 1960].
- *Historiae*, ed. Ph.–E. Legrand, 9 Vols. Paris: Les Belles Lettres, 1932–1954.
- Homeri *Odyssea*, ed. P. von der Mühll, Basel: Helbing & Lichtenhahn 1962.
- *Memorabilia*, ed. E. C. Marchant, Xenophontis opera omnia, vol. 2, 2nd edn. Oxford: Clarendon Press, 1921.
- MPG = J. - P. Migne, *Patrologiae cursus completus*, series Graeca, Paris 1857-1866.
- MPL = J. - P. Migne, *Patrologiae cursus completus*, series Latina, Paris 1844-1864.
- *Opera et Dies*, ed. F. Solmsen, Oxford: Clarendon Press 1970.
- *Orationes*, ed. J. von Arnim, Dionis Prusaensis quem vocant Chrysostomum quae exstant omnia, vols. 1–2, 2nd ed. Berlin: Weidmann, 1:1893; 2:1896.
- Pausaniae *Graeciae Descriptio*, ed. F. Spiro, 3 vols. Leipzig: Teubner, 1903.
- *Phaedo*, ed. J. Burnet, Platonis opera, vol. 1. Oxford: Clarendon Press, 1900.
- *Phaedrus*, ed. J. Burnet, Platonis Opera, vol. 2. Oxford: Clarendon Press, 1901.

- *Photii Lexicon*, ed. R. Porson, Pts. 1-2. Cambridge: Cambridge University Press, 1822: 1:10-367; 2:367-659.
- Plutarch's Moralia, *De Liberis Educandis* [Sp.] (1a-14c), ed. F. C. Babbitt, vol. 1. Cambridge, Mass, Harvard University Press, 1927.
- Plutarchi Vitae Parallelae, *Alexander*, ed. K. Ziegler, Vol. 2. 2, 2nd ed. Leipzig : Teubner 1968.
- Plutarchi Vitae Parallelae, *Pericles*, ed. K. Ziegler, Vol. 1.2, 3rd ed. Leipzig: Teubner, 1964.
- Plutarchi Vitae Parallelae, *Solon*, ed. K. Ziegler, vol. 1.1, 4th ed. Leipzig: Teubner, 1969.
- *Poetica*, ed. R. Kassel, Aristotelis De Arte Poetica Liber, Oxford 1965.
- *Respublica*, ed. J. Burnet, Platonis opera, vol. 4. Oxford: Clarendon Press, 1902.
- Saint Basil: The Letters, 4 vols., edited and translated by Roy J. Defarrari, "Loeb Classical Library", vol. IV, (Cambridge, Mass., 1926-1934).
- Saint Basile, *Aux jeunes gens sur la manière de tirer profit des lettres Helléniques*, ed. F. Boulenger, Paris: Les Belles Lettres, 1935.
- *Scholia in Apollonii Rhodii Argonautica* (scholia vetera), ed. K. Wendel, Berlin: Weidmann, 1935.
- *Suidae Lexicon*, ed. A. Adler, 4 vols. [Lexicographi Graeci 1.1-1.4. Leipzig: Teubner, 1.1:1928; 1.2:1931; 1.3:1933; 1.4:1935.
- Theognis, *Elegiae*, ed. D. Young (post E. Diehl), 2nd ed. Leipzig: Teubner, 1971.
- *Varia Historia*, ed. R. Hercher, Claudii Aeliani De Natura Animalium Libri Xvii, Varia Historia, Epistolae, Fragmenta, vol. 2. Leipzig: Teubner, 1866.

- *Vitae Philosophorum*, ed. H. S. Long, Diogenis Laertii vitae philosophorum, 2 vols. Oxford: Clarendon Press, 1964.
- *Vitae Philosophorum*, ed. H.S. Long, Diogenis Laertii Vitae Philosophorum, 2 vols. Oxford: Clarendon Press, 1966.
- Ed. F. C. Babbitt, *Plutarch's Moralia*, vol. 1, Harvard University Press, 1927.

ثانيا: مراجع أجنبية:

- A. C. Way, "Fathers of the Church" vol. 46 (Washington, D. C., 1963).
- A. Henrichs, Philosophy, the Handmaiden of Theology, *Greek, Roman and Byzantine Studies* 9, (1968), pp. 437-450.
- Basil of Caesarea: Christian, Humanist, Ascetic; A Sixteen-Hundredth Anniversary Symposium, 2 vols. edited by Paul Jonathan Fedwick (Toronto, 1981), Papers presented at an International Symposium held in Toronto, June 10-16, 1979.
- C. Mango *Βυζάντιο: Ἡ Αὐτοκρατορία τῆς Νέας Ῥώμης*, MIET, Ἀθήναι 2002,
- Monica Wagner, "Fathers of the Church" vol. 9 (Washington, D. C., 1950); Letters, translated by A. C. Way, "Fathers of the Church" vols. 13, 28 (Washington, D. C., 1951-1955).
- E. B. Castle, The Christian Fathers and the Moral Training of the Young, *British Journal of Educational Studies*, vol. 3, no. 1. (1954), pp. 24-32.
- J. Quasten, *Patrology: The Golden Age of Greek Patristic Literature*, Westminster, Maryland, 1992.
- J. T. Forestell, *The Book of Proverbs with a Commentary*, Paulist Press, 1960.
- K. Krumbacher, *Ἱστορία τῆς Βυζαντινῆς Λογοτεχνίας*, Ἀθῆναι, 1897.

- *Liddell and Scott's Greek-English Lexicon*, Oxford 1980.
- Marvin R. Vincent, *Word Studies in the New Testament*, vol. 3, Albany, Oregon 1996.
- P. Lemerle, *Ὁ Πρῶτος Βυζαντινὸς Οὐμανισμός*, 3η ἔκδ., Ἀθήνα 2001.
- *The Oxford Dictionary of Byzantium*, ed. A. Kazhdan, Oxford University Press 1991, 3 vols.
- Thomas A. Kopecek, The Social Class of the Cappadocian Fathers, *Church History*, vol. 42, no. 4 (1973), pp. 453-466.
- Timothy S. Miller, *Ἡ γέννηση τοῦ Νοσοκομείου στὴν Βυζαντινὴ Αὐτοκρατορία*, Ἀθήνα 1998.
- H. Hunger, *Βυζαντινὴ Λογοτεχνία*, Ἀθήνα, 2001.
- Θ. Δετοράκης, *Βυζαντινὴ Φιλολογία: Τὰ Πρόσωπα καὶ τὰ Κείμενα*, τόμ. α΄, Ἡράκλειο Κρήτης 1995.
- Α. Βασιλοκοπούλου-Ἰωαννίδου, *Εἰσαγωγὴ στὴ Βυζαντινὴ Λογοτεχνία*, Ἀθήνα, 1984.
- Δ. Κουτσούρη, Βασίλειος Καισαρείας ὁ Μέγας, *Ἱστορικά* 217 (2004), σσ. 1-7.
- *Ἱστορία τῶν Ἑλλήνων: Πολιτισμός, Κοινωνία, Οἰκονομία καὶ Θεσμοὶ τοῦ Βυζαντίου*, Ἐκδόσεις Δομή, τόμ. 9, β΄ ἔκδ., Ἀθήνα 2007.
- Ν. Β. Τωμαδάκη, *Κλεὶς τῆς Βυζαντινῆς Φιλολογίας*, Θεσσαλονίκη 1993.
- Σ. Εὐστρατιάδου, *Ἁγιολόγιον τῆς Ὀρθοδόξου Ἐκκλησίας*, Ἀθῆνα 1995.
- Σ. Ἰω. Κουρούση, *Κεφάλαια Βυζαντινῆς Γραμματλογίας*, Β΄ ἐποσκόπησις τῆς Βυζαντινῆς Παιδείας, Μέρος α΄, Ἡ Ἑλληνικὴ Παιδεία μέχρι τοῦ δ΄ μ.Χ. αἰῶνα, ἐν Ἀθήναις 1991.
- Σ. Παπαδόπουλος, Ἡ συμβολὴ τοῦ Μεγάλου Βασιλείου στὴ θεολογικὴ σκέψη, *Ἱστορικά* 217 (2004), σσ. 29-41.

ثالثا: مراجع عربية:

- اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية" لمثلث الرحمة العلامة البطريرك إفرام الأول برصوم، الطبعة الرابعة، هولندا، ١٩٨٧.

- دائرة المعارف الكتابية، ٦ أجزاء،اصدار دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٦، ج ٢.
- سينكسار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: اليوم السادس من شهر طوبة: الجزء الأول، الناشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة، ١٩٧٨.
- مجدي وهبة صموئيل: مقدمة في علم الآباء (باترولوجيا)، اصدار مؤسسة القديس أنطونيوس للدراسات الآبائية، القاهرة ١٩٩٣.
- معجم التراجم البيزنطية، أ. دونالد نيكول، ترجمة وتعليق أ. د. حسن حبشي، اصدار الهئية المصرية العامة للكتاب (الألف كتاب الثاني)، ٢٠٠٣.